

**بيان النجاح
بتحقيق أسباب الفلاح
بقلم
الشيخ / صلاح عامر**

مقدمة الكتاب

إِنَّ الْحَمْدُ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ، وَنُسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ، فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ، فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُوا إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ (١٠٢)﴾ [آل عمران:

[١٠٢]

: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا (١)﴾ [النساء: ١].

: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا (٧١)﴾ [الأحزاب: ٧٠ - ٧١].

أما بعد :

الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [البقرة: ٥]: أَيُّ أَوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ الْمُدْرِكُونَ مَا طَلَبُوا عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى ذِكْرَهُ بِأَعْمَالِهِمْ وَإِيمَانِهِمْ بِاللَّهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ، مِنْ الْفُوزِ بِالسَّوَابِ، وَالْخُلُودِ فِي الْجَنَّةِ، وَالتَّجَاةِ مِمَّا أَعَدَّ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لِأَعْدَائِهِ مِنَ الْعِقَابِ .

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [البقرة: ٥] أَيُّ الَّذِينَ أَدْرَكُوا مَا طَلَبُوا، وَنَجَّوْا مِنْ شَرِّ مَا مِنْهُ هَرَبُوا "

وَمِنْ الدَّلَالَةِ عَلَى أَنَّ أَحَدَ مَعَانِي الْفَلَاحِ إِدْرَاكُ الطَّلَبَةِ وَالطَّفَرُ بِالْحَاجَةِ، قَوْلُ لَيْبِدِ بْنِ رَبِيعَةَ:

أَعْقَلِي إِنْ كُنْتِ لَمَّا تَعْقَلِي ... وَلَقَدْ أَفْلَحَ مَنْ كَانَ عَقْلَ

يَعْنِي طَفَرَ بِحَاجَتِهِ وَأَصَابَ خَيْرًا^١.

جمع وترتيب

أخوكم في الله/صلاح عامر

أسباب الفلاح :

(١) الهداية إلى الإسلام :

لقوله تعالى: ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَعِيًا بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعَ الْحِسَابِ (١٩) فَإِنْ حَاجُوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ أَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ (٢٠) ﴾ [آل عمران: ١٩-٢٠]

ولقوله تعالى: ﴿ وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (١٣٥) قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ (١٣٦) فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (١٣٧) ﴾ [البقرة: ١٣٥-١٣٧]

ولقوله تعالى عن الجن: ﴿ وَأَنَا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَىٰ آمَنَّا بِهِ فَمَنْ يُؤْمِنُ بِرَبِّهِ فَلَا يَخَافُ بَحْثَنَا وَلَا رَهَقَنَا (١٣) وَأَنَا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِمَّا الْقَاسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا (١٤) ﴾ [الجن: ١٤]

وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: «قَدْ أَفْلَحَ مَنْ أَسْلَمَ، وَرَزَقَ كِفَافًا، وَقَتَّعَهُ اللَّهُ بِمَا آتَاهُ»^١.

وعَنْ فَصَّالَةَ بْنِ عُبَيْدٍ، أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: " طُوبَى لِمَنْ هُدِيَ إِلَى الْإِسْلَامِ، وَكَانَ عَيْشُهُ كِفَافًا " ^٢

وعَنْ طَارِقِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْمُحَارِبِيِّ، قَالَ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِي سُوقِ ذِي الْمَجَازِ وَعَلَيْهِ حُلَّةٌ حَمْرَاءُ، وَهُوَ يَقُولُ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ قُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ تَقْلُحُوا»، وَرَجُلٌ يَتَّبِعُهُ بِالرَّحِجَةِ، وَقَدْ أَدْمَى عُرْفُوتَيْهِ وَكَعْبَيْهِ، وَهُوَ يَقُولُ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ، لَا تُطِيعُوهُ، فَإِنَّهُ كَذَّابٌ، فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ قِيلَ:

^١ - مسلم ١٢٥ - (١٠٥٤)، وأحمد (٦٦٠٩)، والترمذي (٢٣٤٨)، وابن ماجه (٤١٣٨)، وابن

حبان (٦٧٠)

^٢ - رواه أحمد (٢٣٩٤٤) وقال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح، والترمذي (٢٣٤٩)، وابن حبان (٧٠٥)

وصححه الألباني في "الصحيحة" (١٥٠٦).

بيان النجاح بتحقيق أسباب الفلاح

هَذَا غَلَامٌ بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، قُلْتُ: فَمَنْ هَذَا الَّذِي يَتَّبِعُهُ يَزِمِيهِ بِالْحِجَارَةِ؟ قَالَ: هَذَا عَبْدُ الْعَزَى أَبُو لَهَبٍ قَالَ: فَلَمَّا ظَهَرَ الْإِسْلَامُ، خَرَجْنَا فِي ذَلِكَ حَتَّى تَزَلْنَا قَرِيبًا مِنَ الْمَدِينَةِ،...^١

وَعَنْ رَبِيعَةَ بِنِ عَبْدِ الدَّيْلِيِّ، وَكَانَ جَاهِلِيًّا أَسْلَمَ، فَقَالَ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بَصَرَ عَيْنِي بِسُوقِ ذِي الْمَجَازِ، يَقُولُ: " يَا أَيُّهَا النَّاسُ قُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، تَفْلِحُوا " وَيَدْخُلُ فِي فِجَاجِهَا وَالنَّاسُ مُتَقَصِّفُونَ عَلَيْهِ، فَمَا رَأَيْتُ أَحَدًا يَقُولُ شَيْئًا، وَهُوَ لَا يَسْكُتُ، يَقُولُ: " أَيُّهَا النَّاسُ قُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ تَفْلِحُوا " إِلَّا أَنَّ وِرَاءَهُ رَجُلًا أَحْوَلَ وَضِيءَ الْوَجْهِ، ذَا غَدِيرَتَيْنِ يَقُولُ: إِنَّهُ صَالِحٌ، كَاذِبٌ، قُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ قَالُوا: مُحَمَّدٌ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، وَهُوَ يَذُكُرُ التُّبُوَّةَ، قُلْتُ: مَنْ هَذَا الَّذِي يَكْذِبُهُ؟ قَالُوا: عُمَةُ أَبُو لَهَبٍ، قُلْتُ: إِنَّكَ كُنْتَ يَوْمَئِذٍ صَغِيرًا، قَالَ: لَا، وَاللَّهِ إِنِّي يَوْمَئِذٍ لَأَعْقِلُ.^٢

وَعَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ، قَالَ: كَانَتْ تَقِيفُ حُلَفَاءَ ابْنِي عُقَيْلٍ، فَأَسْرَتْ تَقِيفَ رَجُلَيْنِ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَأَسَرَ أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، رَجُلًا مِنْ بَنِي عُقَيْلٍ، وَأَصَابُوا مَعَهُ الْعَضْبَاءَ، فَأَتَى عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ فِي الْوَتَاقِ، قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، فَاتَاهُ، فَقَالَ: «مَا شَأْنُكَ؟» فَقَالَ: بِمِمْ أَحَدْتَنِي، وَبِمِمْ أَحَدْتَ سَابِقَةَ الْحَاجِّ؟ فَقَالَ: «إِعْظَامًا لِذَلِكَ أَخَدْتُكَ بِحِرْبَةِ حُلَفَائِكَ تَقِيفَ»، ثُمَّ انْصَرَفَ عَنْهُ، فَتَادَاهُ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، يَا مُحَمَّدُ، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ رَجِيمًا رَقِيقًا، فَرَجَعَ إِلَيْهِ، فَقَالَ: «مَا شَأْنُكَ؟» قَالَ: إِنِّي مُسْلِمٌ، قَالَ: «لَوْ قُلْتَهَا وَأَنْتَ تَمْلِكُ أَمْرَكَ أَفْلَحْتَ كُلَّ الْفَلَاحِ»،..^٣ الحديث

حتى هرقل يعلم هذه الحقيقة ، لما دعا أبو سفيان أثناء رحلته للشام للتجارة ، قبل إسلامه ، لسؤاله عن النبي ﷺ ، وبعد أن أجابه أبو سفيان رضي الله عنه عن جميع ما سأله عن النبي ، وأخبر عن ذلك لابن عباس رضي الله عنهما فقال هرقل: هَذَا مُلْكُ هَذِهِ الْأُمَّةِ قَدْ ظَهَرَ. ثُمَّ كَتَبَ هِرْقُلُ إِلَى صَاحِبِ لَهُ يَرْوِمِيَّةَ ، وَكَانَ نَظِيرَهُ فِي الْعِلْمِ ، وَسَارَ هِرْقُلُ إِلَى حِمَصَ ، فَلَمَّ يَرِمُ حِمَصَ حَتَّى

^١ - رواه ابن حبان (٦٥٦٢)، وابن خزيمة (١٥٩) وقال الأعظمي: إسناده صحيح، وصححه الألباني في "الإرواء" (٨٣٤)، و"مشكلة الفقر" (٤٤).

^٢ - رواه أحمد (١٦٠٢٣) وقال شعيب الأرنؤوط: صحيح لغيره، وهذا إسناده حسن.

^٣ - مسلم ٨- (١٦٤١) ، وأحمد (١٩٨٦٣)، وأبو داود (٣٣١٦).

بيان النجاح بتحقيق أسباب الفلاح

أثاه كتاب من صاحبه يُوافق رأي هِرْقَل على خروج النَّبِيِّ ﷺ ، وَأَنَّهُ نَبِيٌّ ، فَأَذِنَ هِرْقَلُ لِعِظَمَاءِ الرُّومِ فِي دَسْكَرَةِ لَهُ بِحِمَصَ ، ثُمَّ أَمَرَ بِأَبْوَابِهَا فَعُلِقَتْ ، ثُمَّ أَطْلَعَ ، فَقَالَ: يَا مَعْشَرَ الرُّومِ ، هَلْ لَكُمْ فِي الْفَلَاحِ وَالرُّشْدِ ، وَأَنْ يَبْتَدَأَ مُلْكُكُمْ ، فَتُبَايَعُوا هَذَا النَّبِيَّ ؟ فَحَاصُوا حَيْصَةَ حُمُرِ الْوَحْشِ إِلَى الْأَبْوَابِ ، فَوَجَدُوهَا قَدْ عُلِقَتْ ، فَلَمَّا رَأَى هِرْقَلُ نَفَرَتَهُمْ ، وَأَيْسَ مِنَ الْإِيمَانِ ، قَالَ: زِدُوهُمْ عَلَيَّ ، وَقَالَ: إِنِّي قُلْتُ مَقَالَتِي إِنَّمَا اخْتَبَرْتُ بِهَا شِدَّتَكُمْ عَلَى دِينِكُمْ ، فَقَدْ رَأَيْتُ ، فَسَجَدُوا لَهُ وَرَضُوا عَنْهُ ، فَكَانَ ذَلِكَ آخِرَ شَأْنِ هِرْقَلٍ^١.

(٢) تركية النفس بالإيمان والعمل الصالح :

لقوله تعالى : ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا (٧) فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا (٨) قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا (٩) وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا (١٠) ﴾ (الشمس: ٧-١٠) وقوله: ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ﴾ أي: خَلَقَهَا سَوِيَّةً مُسْتَقِيمَةً عَلَى الْفِطْرَةِ الْقَوِيَّةِ ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ﴾ [الرُّوم: ٣٠] ، وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "كُلُّ مَوْلُودٍ يُوَلَّدُ عَلَى الْفِطْرَةِ ، فَأَبَوَاهُ يَهُودَانَهُ أَوْ يَنْصَرَانَهُ أَوْ يُمَجْسَانَهُ ، كَمَا تُوَلَّدُ الْبَيْهِيَّةُ بَيْهِيَّةً جَمْعَاءَ هَلْ تُحْسِنُونَ فِيهَا مِنْ جَدْعَاءَ؟"^٢.

وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ مِنْ رِوَايَةِ عِيَاضِ بْنِ جَمَارٍ الْمُجَاشِعِيِّ ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، قَالَ: "يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: إِنِّي خَلَقْتُ عِبَادِي حُنْفَاءَ فَجَاءَتْهُمْ الشَّيَاطِينُ فَاجْتَالَتْهُمْ عَنْ دِينِهِمْ"^٣.

وَقَوْلُهُ: ﴿ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴾ أي: فَأَرْشَدَهَا إِلَى فُجُورِهَا وَتَقْوَاهَا ، أَيَّ: بَيَّنَّ لَهَا ذَلِكَ ، وَهَدَاهَا إِلَى مَا قَدَّرَ لَهَا.

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: ﴿ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴾ بَيَّنَّ لَهَا الْخَيْرَ وَالشَّرَّ . وَكَذَا قَالَ مُجَاهِدٌ ، وَفَتَادَةٌ ، وَالضَّحَّاكُ ، وَالثَّوْرِيُّ .

^١ - البخاري (٧) واللفظ له ، ومسلم ٧٤ - (١٧٧٣).

^٢ - رواه البخاري (١٣٨٥) ومسلم برقم ٢٢ - (٢٦٥٨).

^٣ - رواه مسلم ٦٣ - (٢٨٦٥) ، وأحمد (١٧٤٨٤) ، وابن حبان (٦٥٣).

بيان النجاح بتحقيق أسباب الفلاح

﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ﴾ نفس هنا وإن كانت واحدة لكن المراد العموم. يعني كل نفس ﴿ وَمَا سَوَّاهَا ﴾ يعني سواها خلقة وسواها فطرة ، سواها خلقة حيث خلق كل شيء على الوجه الذي يناسبه ويناسب حاله. قال الله تعالى: ﴿ الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ﴾ (٥٠) أي خلقه المناسب له ﴿ ثُمَّ هَدَى ﴾ [طه: ٥٠] . أي: هداه لمصالحه، وكذلك سواه فطرة ولا سيما البشر فإن الله جعل فطرتهم هي الإخلاص والتوحيد كما قال تعالى: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ﴾ [الرُّوم: ٣٠] . [الرُّوم: ٣٠] . ﴿ فَأَلْهَمَهَا ﴾ أي الله عز وجل ألهم هذه النفوس ﴿ فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴾ بدأ بالفجور قبل التقوى مع أن التقوى لا شك أفضل، قالوا: مراعاة لفواصل الآيات. ﴿ فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴾ الفجور هو ما يقابل التقوى، والتقوى طاعة الله، فالفجور معصية الله، فكل عاص فهو فاجر. وإن كان الفاجر خصَّ عرفاً بأنه من ليس بعفيف، لكن هو شرعاً يعم كل من خرج عن طاعة الله ، كما قال تعالى:

﴿ كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ ﴾ [المطففين: ٧] . والمراد الكفار. وإلهامها تقواها هو الموافق للفطرة ؛ لأن الفجور خارج عن الفطرة، لكن قد يلهمه الله بعض النفوس لانحرافها ، لقوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ ﴾ [الصف: ٥] . والله تعالى لا يظلم أحداً، لكن من علم منه أنه لا يريد الحق أراغ الله قلبه .

﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ﴾ ﴿ قَدْ أَفْلَحَ ﴾ أي: فاز بالمطلوب

ونجا من المهوب، ﴿ مَنْ زَكَّاهَا ﴾ أي: من زكى نفسه، وليس المراد بالتركية هنا التزكية المنهي عنها في قوله: ﴿ فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ ﴾ [النجم: ٣٢] . المراد بالتركية هنا: أن يزكي نفسه بإخلاصها من الشرك وشوائب المعاصي ، حتى تبقى زكية طاهرة نقية. ﴿ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ﴾ أي من أرداها في المهالك والمعاصي، وهذا يحتاج إلى دعاء الله سبحانه وتعالى أن يثبت الإنسان على طاعته ، وعلى القول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة. فعليك دائماً أن تسأل الله الثبات والعلم النافع ، والعمل الصالح ، فإن الله تعالى قال: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ [البقرة: ١٨٦] .^١

^١ - " تفسير جزء عم" لابن عثيمين(ص: ٢٢٢-٢٢٣) ط: دار الثريا - الرياض - الثانية .

بيان النجاح بتحقيق أسباب الفلاح

حصول الفلاح والهدى للمؤمنين بسبب إيمانهم ، قال الله - عز وجل - بعد ذكره إيمان المؤمنين بما أنزل على محمد - ﷺ - ، وما أنزل على من قبله ، والإيمان بالغيب ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ﴿ أُوْتِيكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ ، فهذا هو الهدى التام ، والفلاح الكامل ، فلا سبيل إلى الهدى والفلاح إلا بالإيمان التام^١.

وعن زيد بن أرقم ، قال: لَا أَقُولُ لَكُمْ إِلَّا كَمَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، يَقُولُ: كَانَ يَقُولُ: "اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْعُجْزِ، وَالْكَسَلِ، وَالْجُبْنِ، وَالْبُخْلِ، وَالْهَرَمِ، وَعَذَابِ الْقَبْرِ اللَّهُمَّ آتِ نَفْسِي تَقْوَاهَا، وَزَكَّاهَا، أَنْتَ خَيْرٌ مِنْ زَكَّاهَا، أَنْتَ وَلِيِّهَا وَمَوْلَاهَا، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ، وَمِنْ قَلْبٍ لَا يَخْشَعُ، وَمِنْ نَفْسٍ لَا تَتَّسِعُ، وَمِنْ دَعْوَةٍ لَا يُسْتَجَابُ لَهَا"^٢.

(٣) تقوى الله :

قال تعالى : ﴿ قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (١٠٠) ﴿ (المائدة: ١٠٠)

يقول الإمام ابن كثير -رحمه الله-: يَقُولُ تَعَالَى لِرَسُولِهِ ﷺ : ﴿ قُلْ ﴾ يَا مُحَمَّدُ: ﴿ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ ﴾ أَي: يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ ﴿ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ ﴾ يَعْنِي: أَنَّ الْقَلِيلَ الْحَلَالَ النَّافِعَ خَيْرٌ مِنَ الْكَثِيرِ الْحَرَامِ الضَّارِّ، كَمَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ: "مَا قَلَّ وَكَفَى، خَيْرٌ مِّمَّا كَثُرَ وَالْهَى"^٣. ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ ﴾ أَي: يَا ذَوِي الْعُقُولِ الصَّحِيحَةِ الْمُسْتَقِيمَةِ ، وَتَجَنَّبُوا الْحَرَامَ وَدَعُوهُ، وَافْتَعُوا بِالْحَلَالِ وَاکْتَفُوا بِهِ ﴿ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ أَي: فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ .

^١ - نُورُ الْإِيمَانِ وَظِلْمَاتُ النَّفَاقِ فِي ضَوْءِ الْكِتَابِ وَالسَّنَةِ" د. سعيد بن علي بن وهف القحطاني

(ص: ١٩)

^٢ - مسلم ٧٣ - (٢٧٢٢)، وأحمد (١٩٣٠٨)، والنسائي (٥٤٥٨).

^٣ - رواه أحمد (٢١٧٢١)، وابن حبان (٣٣٢٩) وصححه الألباني في- "الصحيحة" (٩٢٠)، و"تخریج فقه

السيرة" (٤٤٦) عن أبي الدرداء

وفي تفسير الجلالين : ﴿ قُلْ لَا يَسْتَوِي الْحَيْثُ ﴾ الْحَرَامُ ﴿ وَالطَّيِّبُ ﴾ الْحَلَالُ ﴿ وَلَوْ أَجَبَكَ ﴾
 أَي سَرَكَ ﴿ كَثْرَةُ الْحَيْثِ ﴾ ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ ﴾ فِي تَرْكِهِ ﴿ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَفْلَحُونَ ﴾ تَفُوزُونَ .
 وَعَنِ النَّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ ، قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ، يَقُولُ : " الْحَلَالُ بَيْنَ ، وَالْحَرَامُ بَيْنَ ، وَبَيْنَهُمَا
 مُشَبَّهَاتٌ لَا يَعْلَمُهَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ ، فَمَنْ اتَّقَى الْمَشَبَّهَاتِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعَرْضِهِ ، وَمَنْ وَقَعَ فِي
 الشُّبُهَاتِ : كَرَاعٍ يَزْعَمِي حَوْلَ الْحَمِيِّ ، يُوشِكُ أَنْ يُوقِعَهُ ، أَلَا وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حَمِيٍّ ، أَلَا إِنَّ حَمِيَّ اللَّهِ
 فِي أَرْضِهِ مَحَارِمُهُ ، أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْعَةً : إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ
 الْجَسَدُ كُلُّهُ ، أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ " .^١

(٤) طاعة الله تعالى ورسوله ﷺ :

قال تعالى : ﴿ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ (٧١) ﴿ (الأحزاب: ٧١) ﴾
 قال تعالى : ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَأَطِيعُوا وَأَنْفِقُوا خَيْرًا لَأَنْفُسِكُمْ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ
 فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (١٦) ﴿ (التغابن: ١٦) ﴾
 وقال تعالى : ﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا
 وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (٥١) ﴿ (النور: ٥١) ﴾
 وقال تعالى : ﴿ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الَّذِي جَاءَهُمْ بِبَيِّنَاتٍ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا يَحْتَفِلُ فِيهِ الْإِنْجِيلِ
 يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ
 وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ
 الْمُفْلِحُونَ ﴾ (١٥٧) ﴿ [الأعراف: ١٥٧] ﴾

وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : " لِكُلِّ عَمَلٍ بَشْرَةٌ ، وَلِكُلِّ شَرِّهِ فِتْرَةٌ ، فَمَنْ كَانَتْ
 فِتْرَتُهُ إِلَى سُنَّتِي ، فَقَدْ أَفْلَحَ ، وَمَنْ كَانَتْ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ فَقَدْ هَلَكَ " .^٢

^١ - البخاري (٥٢) ، ومسلم ١٠٧ - (١٥٩٩) ، وأحمد (١٨٣٧٤) ، وابن ماجه (٣٩٨٤) .

^٢ - رواه أحمد (٦٩٥٨) ، وابن حبان (١١) .

بيان النجاح بتحقيق أسباب الفلاح

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "إِنِّي قَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ شَيْئَيْنِ لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُمَا: كِتَابَ اللَّهِ وَسُنَّتِي، وَلَنْ يَتَفَرَّقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الْحَوْضَ".^١

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، يَقُولُ: "أَنَا فَرَطُكُمْ عَلَى الْحَوْضِ، فَمَنْ وَرَدَ أَفْلَحَ، وَيُؤْتَى بِأَقْوَامٍ، فَيُؤَخَذُ مِنْهُمْ ذَاتُ الشِّمَالِ، فَأَقُولُ: أَيُّ رَبِّ، فَيُقَالُ: مَا زَالُوا بِعَدِّكَ يَرْتَدُّونَ عَلَيَّ أَعْقَابِهِمْ"^٢

(٥) الإيمان بالغيب :

(٦) إقامة الصلاة :

(٧) الإتفاق في سبيل الله :

(٨) الإيمان بكل ما أنزل الله على نبيه ﷺ وما أنزل من قبله :

(٩) اليقين بالآخرة :

لقوله تعالى : ﴿الم (١) ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ (٢) الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (٣) وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ (٤) أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٥) ﴾ [البقرة:٥]

إقامة الصلاة :

لقوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٧٧) ﴾ [الحج:٧٧]

وقوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى (١٤) وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى (١٥) ﴾ [الأعلى:١٤-١٥]

^١ - رواه الحاكم في "المستدرک" (٣١٩)، وانظر "المشكاة" (١٨٦)، و"الصحيحة" (١٧٦١) و"صحيح

الجامع" (٢٩٣٧، ٣٢٣٢).

^٢ - رواه أحمد (٢٣٢٧) وانظر "السلسلة الصحيحة" للألباني (٣٠٨٧).

بيان النجاح بتحقيق أسباب الفلاح

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: "مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَلْتَقَى اللَّهَ عَدَاً مُسْلِمًا، فَلْيُحَافِظْ عَلَى هَؤُلَاءِ الصَّلَوَاتِ حَيْثُ يُنَادِي بِهِنَّ، فَإِنَّ اللَّهَ شَرَعَ لِنَبِيِّكُمْ ﷺ سُنَنَ الْهُدَى، وَأَمَرَنَ مَنْ سُنَنَ الْهُدَى، وَلَوْ أَنَّكُمْ صَلَّيْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ كَمَا يَصَلِّي هَذَا الْمُتَخَلِّفُ فِي بَيْتِهِ، لَتَرَكْتُمْ سُنَنَةَ نَبِيِّكُمْ، وَلَوْ تَرَكْتُمْ سُنَنَةَ نَبِيِّكُمْ لَضَلَلْتُمْ، وَمَا مِنْ رَجُلٍ يَتَطَهَّرُ فَيُحْسِنُ الطُّهُورَ، ثُمَّ يَعْمِدُ إِلَى مَسْجِدٍ مِنْ هَذِهِ الْمَسَاجِدِ، إِلَّا كَتَبَ اللَّهُ لَهُ بِكُلِّ خَطْوَةٍ يَخْطُوهَا حَسَنَةً، وَيَرْفَعُهُ بِهَا دَرَجَةً، وَيَحْطُ عَنْهُ بِهَا سَيِّئَةً، وَلَقَدْ رَأَيْنَا وَمَا يَتَخَلَّفُ عَنْهَا إِلَّا مُتَأَفِّقٌ مَعْلُومٌ التَّفَاقِي، وَلَقَدْ كَانَ الرَّجُلُ يُؤْتَى بِهِ يُمَادَى بَيْنَ الرَّجُلَيْنِ حَتَّى يُقَامَ فِي الصَّيْفِ".^١

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: أَتَى النَّبِيَّ ﷺ رَجُلٌ أَعْمَى، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّهُ لَيْسَ لِي قَائِدٌ يَتَّوَدُّنِي إِلَى الْمَسْجِدِ، فَسَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَنْ يَرِّحَ لَهٗ، فَيَصَلِّيَ فِي بَيْتِهِ، فَرَحَّصَ لَهٗ، فَلَمَّا وُلَّى، دَعَاهُ، فَقَالَ: "هَلْ تَسْمَعُ التِّدَاءَ بِالصَّلَاةِ؟" قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: "فَأَجِبْ".^٢

وَعَنْ ابْنِ أُمِّ مَكْتُومٍ، أَنَّهُ قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ الْمَدِينَةَ كَثِيرَةُ الْهَوَامِّ وَالسَّبَاعِ. قَالَ: "هَلْ تَسْمَعُ حَيَّ عَلَى الصَّلَاةِ حَيَّ عَلَى الْفَلَاحِ؟" قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: "فَحَيَّ هَلَّا". وَلَمْ يَرِحْصَ لَهٗ".^٣

وَعَنْ حُرَيْثِ بْنِ قَبِيصَةَ، قَالَ: قَدِمْتُ الْمَدِينَةَ، فَقُلْتُ: اللَّهُمَّ بَسِّرْ لِي جَلِيسًا صَالِحًا، قَالَ فَجَلَسْتُ إِلَى أَبِي هُرَيْرَةَ، فَقُلْتُ: إِنِّي سَأَلْتُ اللَّهَ أَنْ يَرْزُقَنِي جَلِيسًا صَالِحًا، فَحَدَّثَنِي بِحَدِيثٍ سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يَنْفَعَنِي بِهِ، فَقَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، يَقُولُ: "إِنَّ أَوَّلَ مَا يُحَاسَبُ بِهِ الْعَبْدُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ عَمَلِهِ صَلَاتُهُ، فَإِنْ صَلَحَتْ فَقَدْ أَفْلَحَ وَأَنْجَحَ، وَإِنْ فَسَدَتْ فَقَدْ خَابَ

^١ - مسلم ٢٥٧ - (٦٥٤)، وأحمد (٣٩٣٦)، والنسائي (٨٤٩)، وابن ماجه (٧٧٧).

^٢ - مسلم ٢٥٥ - (٦٥٣)، والنسائي (٨٥٠).

^٣ - رواه أحمد (١٥٤٩٠)، وأبو داود (٥٥٣، ٥٥٢)، والنسائي (٨٥١)، وابن ماجه (٧٩٢)، وابن خزيمة

(١٤٨٠) وصححه الألباني.

بيان النجاح بتحقيق أسباب الفلاح

وَحَسِرَ، فَإِنْ انْتَقَصَ مِنْ فَرِيضَتِهِ شَيْءٌ، قَالَ الرَّبُّ عَزَّ وَجَلَّ: انظُرُوا هَلْ لِعَبْدِي مِنْ تَطَوُّعٍ فَيُكَمَّلَ بِهَا مَا انْتَقَصَ مِنَ الْفَرِيضَةِ، ثُمَّ يَكُونُ سَائِرُ عَمَلِهِ عَلَى ذَلِكَ".^١

ويقول الإمام ابن كثير - رحمه الله - في تفسيره: وَقَوْلُهُ: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ أَيُّ: يُؤَاطِبُونَ عَلَيْهَا فِي مَوَاقِبَتِهَا، كَمَا قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ: سَأَلْتُ النَّبِيَّ ﷺ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيُّ الْعَمَلِ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ؟ قَالَ: "الصَّلَاةُ عَلَى وَفْتِنَا". قُلْتُ: ثُمَّ أَيُّ؟ قَالَ: "بِرُّ الْوَالِدَيْنِ". قُلْتُ: ثُمَّ أَيُّ؟ قَالَ: "الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ".

وَقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ، وَمَسْرُوقٌ، فِي قَوْلِهِ: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ يَعْني: مَوَاقِبَتِ الصَّلَاةِ. وَكَذَا قَالَ أَبُو الصُّحَى، وَعَلَقَمَةُ بْنُ قَيْسٍ، وَسَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ، وَعِكْرَمَةُ. وَقَالَ قَتَادَةُ: عَلَى مَوَاقِبَتِهَا وَرُكُوعِهَا وَسُجُودِهَا.

وَقَدْ افْتَتَحَ اللَّهُ ذِكْرَ هَذِهِ الصِّفَاتِ الْحَمِيدَةِ بِالصَّلَاةِ، وَاخْتَتَمَهَا بِالصَّلَاةِ، فَدَلَّ عَلَى أَفْضَلِيَّتِهَا، كَمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "اسْتَقِيمُوا وَلَنْ تُخْصُوا، وَاعْلَمُوا أَنَّ خَيْرَ أَعْمَالِكُمُ الصَّلَاةُ، وَلَا يُحَافِظُ عَلَى الْوُضُوءِ إِلَّا مُؤْمِنٌ".^٢

ومن أواد المزيد فليطالع كتابي: "خير أعمالكم الصلاة" بنفس الموقع.

الإفناق في سبيل الله:

لقوله تعالى: ﴿فَاتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ ذَلِكَ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (٣٨) ﴿[الروم: ٣٨]

^١ - رواه أحمد (٧٩٠٢)، والترمذي (٤١٣)، والنسائي (٤٦٥)، وأبو داود (٨٦٤)، و"المشكاة" (١٣٣٠) - [٣] وصححه الألباني في "صحيح الجامع" (٢٠٢٠ - ٨٩٢).

^٢ - حسن صحيح: رواه أحمد (٢٢٣٧٨)، وابن ماجه (٢٧٧)، وابن حبان (١٠٣٧) وانظر "الروض النضير" (١٧٧)، "الصحيحه" (١١٥) للألباني.

بيان النجاح بتحقيق أسباب الفلاح

وقال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [الحشر: ٩]

يقول الإمام السعدي -رحمه الله- : وَقَوْلُهُ: ﴿ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ ووقاية شح النفس، يشمل وقتها الشح ، في جميع ما أمر به ، فإنه إذا وقى العبد شح نفسه، سمحت نفسه بأوامر الله ورسوله، ففعلها طائعاً منقاداً، منشرحاً بها صدره، وسمحت نفسه بترك ما نهى الله عنه، وإن كان محبوباً للنفس، تدعو إليه، وتطلع إليه، وسمحت نفسه ببذل الأموال في سبيل الله وابتغاء مرضاته، وبذلك يحصل الفلاح والفوز، بخلاف من لم يوق شح نفسه، بل ابتلي بالشح بالخير، الذي هو أصل الشر ومادته، فهذان الصنفان،

الفاضلان الزكيان هم الصحابة الكرام والأئمة الأعلام، الذين حازوا من السوابق والفضائل والمناقب ما سبقوا به من بعدهم، وأدركوا به من قبلهم، فصاروا أعيان المؤمنين، وسادات المسلمين، وقادات المتقين .

ولقوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ﴾ : الْأَكْثَرُونَ عَلَىٰ أَنَّ الْمُرَادَ بِالزَّكَاةِ هَاهُنَا زَكَاةُ الْأَمْوَالِ، مَعَ أَنَّ هَذِهِ [الآيَةَ] (٦) مَكِّيَّةٌ، وَإِنَّمَا فُرِضَتِ الزَّكَاةُ بِالْمَدِينَةِ فِي سَنَةِ اثْنَتَيْنِ مِنَ الْهَجْرَةِ. وَالظَّاهِرُ أَنَّ الَّتِي فُرِضَتْ بِالْمَدِينَةِ إِنَّمَا هِيَ ذَاتُ النَّصَبِ وَالْمَقَادِيرِ الْخَاصَّةِ، وَإِلَّا فَالظَّاهِرُ أَنَّ أَصْلَ الزَّكَاةِ كَانَ وَاجِبًا بِمَكَّةَ ، كَمَا قَالَ تَعَالَى فِي سُورَةِ الْأَنْعَامِ، وَهِيَ مَكِّيَّةٌ: ﴿وَأَتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ﴾ [الأنعام: ١٤١] .

وَقَدْ يُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ بِالزَّكَاةِ هَاهُنَا: زَكَاةُ النَّفْسِ مِنَ الشَّرِكِ وَالذَّنَسِ، كَقَوْلِهِ: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا. وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ﴾ [الشمس: ٩، ١٠] ، وَكَقَوْلِهِ: ﴿ وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ. الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ ﴾ [فُصِّلَتْ: ٦، ٧] ، عَلَى أَحَدِ الْقَوْلَيْنِ فِي تَفْسِيرِهَا. وَقَدْ يُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ كَلَا الْأَمْرَيْنِ مُرَادًا، وَهُوَ زَكَاةُ النَّفْسِ وَزَكَاةُ الْأَمْوَالِ؛ فَإِنَّهُ مِنْ جُمْلَةِ زَكَاةِ النَّفْسِ، وَالْمُؤْمِنُ الْكَامِلُ هُوَ الَّذِي يَتَعَاطَى هَذَا وَهَذَا، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

(١٠) ارتباط الفلاح بالتوبة إلى الله :

قال تعالى: ﴿ فَأَمَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَعَسَىٰ أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُفْلِحِينَ ﴾ (٦٧) [القصص: ٦٧]

وقال تعالى: ﴿ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهُ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (٣١) ﴿ [النور: ٣١] يقول الإمام السعدي - رحمه الله - في تفسيره: ولما أمر تعالى بهذه الأوامر الحسنة، ووصى بالوصايا المستحسنة، وكان لا بد من وقوع تقصير من المؤمن بذلك، أمر الله تعالى بالتوبة، فقال: ﴿ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهُ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ لأن المؤمن يدعو إيمانه إلى التوبة ثم علق على ذلك الفلاح، فقال: ﴿ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ فلا سبيل إلى الفلاح إلا بالتوبة، وهي الرجوع مما يكرهه الله، ظاهرًا وباطنًا، إلى: ما يحبه ظاهرًا وباطنًا، ودل هذا، أن كل مؤمن محتاج إلى التوبة، لأن الله خاطب المؤمنين جميعًا.

وفيه الحث على الإخلاص بالتوبة في قوله: ﴿ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ ﴾ أي: لا لمقصد غير وجهه، من سلامة من آفات الدنيا، أو رياء وسمعة، أو نحو ذلك من المقاصد الفاسدة .

اعلم أن الإنسان إذا صدر منه فعل أو ترك ؛ فَإِنَّهُ يَحْصِلُ أَوَّلًا فِي قَلْبِهِ اعْتِقَادٌ أَنَّهُ نَافِعٌ أَوْ ضَارٌّ ، ثُمَّ يَتَوَلَّدُ مِنْ اعْتِقَادِ كَوْنِهِ نَافِعًا مِيلٌ إِلَى التَّحْصِيلِ ، وَمِنْ اعْتِقَادِ كَوْنِهِ ضَارًّا مِيلٌ إِلَى التَّرْكِ ، ثُمَّ تَصِيرُ الْقُدْرَةُ مَعَ ذَلِكَ الْمِيلِ مُوجِبَةً ، إِمَّا لِلْفِعْلِ ، أَوْ لِلتَّرْكِ .
إذا ثبت ذلك ، فالتوبة كذلك ، فَإِنَّ الرَّجُلَ إِذَا اعْتَقَدَ أَنَّ فِعْلَ الْمُعْصِيَةِ يُوجِبُ الضَّرَرَ الْعَظِيمَ ؛ تَرْتَبُ عَلَى حُصُولِ هَذَا الْإِعْتِقَادِ نَفْرَةٌ عَنْهُ .

والتَّوْبَةُ: وَاجِبَةٌ عَلَى الْعَبْدِ ، لِقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا ﴾ [التحریم: ٨] وَهِيَ مَقْبُولَةٌ قَطْعًا ، لِقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ ﴾ [الشورى: ٢٥].^١

^١ - "معالم أصول الدين" لفخر الدين الرازي (١/١٣٧) ط. دار الكتاب العربي - لبنان.

ما جاء في الأمر بالتوبة ووجوبها :

قال تعالى : ﴿ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (٣١) ﴿ [النور: ٣١]

يقول الإمام القرطبي في تفسيره ، قوله تعالى : ﴿ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (٣١) { قوله تعالى : ﴿ وَتُوبُوا ﴾ أمر ، ولا خلاف بين الأمة في وجوب التوبة، وأنها فرض متعين، وقد مضى الكلام فيها في " النساء " وغيرها فلا معنى لإعادة ذلك. والمعنى: وتوبوا إلى الله فإنكم لا تخلون من سهو وتقصير في أداء حقوق الله تعالى، فلا تتركوا التوبة في كل حال.

وقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُم جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ﴾ [التحریم: ٨]

وقال تعالى : ﴿ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ (١١) ﴿ [الحجرات: ١١].^١

وعن الأعرابي المزني ، قال: قال رسول الله ﷺ : "يا أيها الناس توبوا إلى الله، فإني أتوب، في اليوم إليه مائة، مرة".^٢

فأمر بالمبادرة بالتوبة قبل الموت، وكل ساعة تمر على ابن آدم فإنه يمكن أن تكون ساعة موته، بل كل نفس، كما قيل:

لا تأمن الموت في طرف ولا نفس . . . ولو تمتعت بالحجاب والحرس

قال لقمان لابنه: يا بني، لا تؤخر التوبة، فإن الموت يأتي بغتة .

وقال بعض الحكماء: لا تكن ممن يرجو الآخرة بغير عمل، ويؤخر التوبة لطول الأمل.

إلى الله تب قبل انقضاء من العمر . . . أحيى ولا تأمن مفاجأة الأمر

ولا تستصم عن دعائي وإنما . . . دعوتك إشفاقاً عليك من الوزر

فقد حذرثك الحادثات نزولها . . . ونادتك إلا أن سمعك ذو وفر

تنوح وتبكي للأحبة إن مضوا . . . ونفسك لا تبكي وأنت على الإثر

قال بعض السلف: أصبحوا تائبين، وأمسوا تائبين، يشير إلى أن المؤمن لا

ينبغي أن يصبح ويمسي إلا على توبة، فإنه لا يدري متى يفجأ الموت صباحاً

^١ - تفسير القرطبي "

^٢ - مسلم ٤٢ - (٢٧٠٢)

بيان النجاح بتحقيق أسباب الفلاح

أو مساءً، فمن أصبح أو أمسى على غير توبة، فهو على خطرٍ، لأنه يُخشى أن يلقي الله غير تائب، فيحشر في زمرة الظالمين، قال الله تعالى: ﴿ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾.

تُبُّ من خطاياك وابلِكِ خشيته ... ما أثبت منها عليك في الكتب
 أيُّه حالٍ تكون حالٍ فتي ... صار إلى ربه ولم يتب
 تأخيرُ التوبة في حال الشباب قبيحٌ، ففي حال المشيب أقبح وأقبح.
 نعى لك ظلَّ الشباب المشيب ... ونادتك باسم سواك الخطوب
 فكُن مستعداً لداعي الفنا ... فكلُّ الذي هو آتٍ قريب
 ألسنا نرى شهوات النفوس ... تفنى وتبقى علينا الذنوب
 يخاف على نفسه من يتوب ... فكيف يكن حال من لا يتوب

فإن نزل المرض بالعبد فتأخيره للتوبة حينئذٍ أقبح من كل قبيح، فإن المرض نذير الموت، وينبغي لمن عاد مريضاً أن يذكره التوبة والاستغفار، فلا أحسن من ختام العمل بالتوبة والاستغفار، فإن كان العمل سيئاً، كان كفارة له، وإن كان حسناً كان كالطابع عليه.

وفي حديث "سيد الاستغفار" المخرج في "الصحيح" أن من قاله إذا أصبح وإذا أمسى، ثم مات من يومه أو ليلته، كان من أهل الجنة، وليكثر في مرضه من ذكر الله عز وجل، خصوصاً كلمة التوحيد، فإنه من كاد آخر كلامه دخل الجنة.^١

ألا يا غافلاً يُحصى عليه ... من العمل الصغيرة والكبيرة
 يُصاح به ويُذُر كل يوم ... وقد أنسته غفلته مصيرة
 تلهب للرحيل فقد تداناً ... واستندرك الرحيل أحم وجيرة
 وأنت رخي بال في غرور ... كأن لم تقترف فيها صغيرة
 وكم ذنب أثبت على بصيرة ... وعينك بالذي تأتي قريرة

^١ - روائع التفسير (الجامع لتفسير الإمام ابن رجب الحنبلي) جمع وترتيب: أبي معاذ طارق بن عوض الله بن محمد - الناشر: دار العاصمة - المملكة العربية السعودية - الطبعة: الأولى ١٤٢٢ - ٢٠٠١ م.

بيان النجاح بتحقيق أسباب الفلاح

| | | |
|--|-----|---|
| تُحَاذِرُ أَنْ تَرَكَ هُنَاكَ عَيْنٌ | ... | إِنَّ عَلَيْكَ لَعَيْنُ الْبَصِيرَةِ |
| وَكَمْ حَاوَلْتُ مِنْ أَمْرِ عَظِيمٍ | ... | مُنَعْتُ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَخَيْرَةٍ |
| وَكَمْ مِنْ مُدْخَلٍ لَوْ مَتَّ فِيهِ | ... | لَكُنْتُ بِهِ نَكَالًا فِي الْعَشِيرَةِ |
| وُقِيَتِ السُّوءَ وَالْمَكْرُوهَ فِيهِ | ... | وَرُحْتُ بِنِعْمَةٍ فِيهِ سَتِيرَةً |
| وَكَمْ مِنْ نِعْمَةٍ لِلَّهِ تُسْمِي | ... | وَتُصْبِحُ لَيْسَ تَعْرِفُهَا كَبِيرَةً |

ماهية التوبة وشروطها :

والتوبة: من تاب يتوب أي رجع. وهي الرجوع من معصية الله إلى طاعته .
ويشترط لها خمسة شروط :

الشرط الأول: الإخلاص :

والإخلاص شرط في كل عبادة، والتوبة من العبادات، قال الله تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [البينة: ٥] فمن تاب مراعاة للناس، أو تاب خوفاً من سلطان لا تعظيماً لله عزّ وجل فإن توبته غير مقبولة.

الشرط الثاني: الندم على ما حصل :

وهو انكسار الإنسان وخجله أمام الله عزّ وجل أن فعل ما نهى عنه، أو ترك ما أوجب عليه.
فإن قال قائل: الندم انفعال في النفس، فكيف يسيطر الإنسان عليه؟
فالجواب: أنه يسيطر عليه إذا أشعر نفسه بأنه في خجل من الله عزّ وجل، وحياء من الله، ويقول: ليتني لم أفعل، وما أشبه ذلك .
وقال بعض أهل العلم: إن الندم ليس بشرط:
أولاً: لصعوبة معرفته.

والثاني: لأن الرجل إذا أقلع فإنه لم يقلع إلا وهونادم، وإلا لاستمر.
لكن أكثر أهل العلم -رحمهم الله- على أنه لا بد أن يكون في قلبه ندم .

الشرط الثالث : الإقلاع عن المعصية التي تاب منها :

فإن كانت المعصية ترك واجب يمكن تداركه وجب عليه أن يقوم بالواجب ، كما لو أذنب الإنسان بمنع الزكاة ، فإنه لا بد أن يؤدي الزكاة، أو كان فعل محرماً مثل أن يسرق من شخص مالا ثم يتوب ، فلا بد أن يرد المال إلى صاحبه، وإلا لم تصح توبته.

فإن قال قائل: هذا رجل سرق مالا من شخص وتاب إلى الله، لكن المشكل كيف يؤدي هذا المال إلى صاحبه؟ يخشى إذا أدى المال إلى صاحبه أن يقع في مشاكل فيدعي مثلاً صاحب المال أن المال أكثر، أو يتهم هذا الرجل ويشيع أمره، أو ما أشبه ذلك، فماذا يصنع؟

نقول: لا بد أن يوصل المال إلى صاحبه بأي طريق، وبإمكانه أن يرسل المال مع شخص لا يتهم بالسرقة ويعطيه صاحبه، ويقول: يا فلان هذا من شخص أخذه منك أولاً والآن أوصله إليك، ويكون هذا الشخص محترماً أميناً بمعنى أنه لا يمكن لصاحب المال أن يقول: إما أن تعين لي من أعطاك إياه وإلا فأنت السارق، أما إذا كان يمكن فإنه مشكل .

مثال ذلك: أن يعطيه القاضي، أو يعطيه الأمير يقول: هذا مال لفلان أخذته منه، وأنا الآن تائب، فأدّه إليه. وفي هذه الحال يجب علماً أعطاه إياه أن يؤدّبه إنقاداً للآخذ وردّاً لصاحب المال.

فإذا قال قائل: إن الذي أخذت منه المال قد مات، فماذا أصنع؟

فالجواب: يعطيه الورثة ، فإن لم يكن له ورثة أعطاه بيت المال .

فإذا قال: أنا لا أعرف الورثة، ولا أعرف عنوانهم؟

فالجواب: يتصدق به عن هو له، والله عزّ وجل يعلم هذا ويوصله إلى صاحبه.

فهذه مراتب التوبة بالنسبة لمن أخذ مال شخص معصوم .

تأتي مسألة الغيبة: فالغيبة كيف يتخلص منها إذا تاب :

من العلماء من قال: لا بد أن يذهب إلى الشخص ويقول: إني اغتبتك فخلني، وفي هذا مشكلة.

ومنهم من فصل وقال: إن علم بالغيبة ذهب إليه واستحله، وإن لم يعلم فلا حاجة أن يقول له شيئاً

لأن هذا يفتح باب شرّ.

ومنهم من قال: لا يعلمه مطلقاً، كما جاء في الحديث: "كُفَّارَةٌ مِّنْ اغْتَبْتَهُ أَنْ تَسْتَغْفِرَ لَهُ" ^١ فيستغفر له ويكفي.

ولكن القول الوسط هو الوسط ، وهو أن نقول: إن كان صاحبه قد علم بأنه اغتابه فلا بد أن يتحلل منه ، لأنه حتى لو تاب سيبقى في قلب صاحبه شيء ، وإن لم يعلم كفاه أن يستغفر له .

الشرط الرابع: العزم على أن لا يعود :

فلا بد من هذا ، فإن تاب من هذا الذنب لكن من نيته أن يعود إليه متى سنحت له الفرصة فليس بتائب ، ولكن لو عزم أن لا يعود ، ثم سؤلت له نفسه فعاد فالتوبة الأولى لا تنتقض ، لكن يجب أن يجدد توبة للفعل الثاني .
ولهذا يجب أن نعرف الفرق بين أن نقول: من الشرط أن لا يعود، وأن نقول: من الشرط العزم على أن لا يعود.

الشرط الخامس : أن تكون التوبة وقت قبول التوبة :

فإن كانت في وقت لا تقبل فيه لم تنفعه، وذلك نوعان:

نوع خاص، ونوع عام.

النوع الخاص : إذا حضر الإنسان أجله فإن التوبة لا تنفع، لقول الله تعالى: ﴿وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ وَلَا الَّذِينَ يُمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَٰئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [النساء: الآية ١٨] ولما غرق فرعون قال: ﴿آمنت أنه لا إله إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل وأنا من المسلمين﴾ {فقبل له: ﴿الآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾ [يونس: ٩١] أي الآن تسلم، ومع ذلك لم ينفعه .

^١ - "مسند الحارث" برقم (١٠٨٠) ، بلفظ " عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ : "كفارة الاغتيا ب أن تسغفر لمن اغتبتته".

بيان النجاح بتحقيق أسباب الفلاح

وأما العام : فهو طلوع الشمس من مغربها، فإن الشمس تشرق من المشرق وتغرب من المغرب، فإذا طلعت من المغرب آمن الناس كلهم، ولكن لا ينعف نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً.

ولهذا قال النبي ﷺ : " لَأَتَقَطَّعُ الْهَجْرَةَ حَتَّى تَتَقَطَّعَ التَّوْبَةُ، وَلَا تَتَقَطَّعُ التَّوْبَةُ حَتَّى تَخْرُجَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا " .^١

فهذه هي شروط التوبة، وأكثر العلماء - رحمهم الله - يقولون: شروط التوبة ثلاثة: الندم، والإفلاع، والعزم على أن لا يعود. ولكن ما ذكرناه أوفى وأتم، ولا بد مما ذكرناه.^٢

ما جاء في فضل التائبين :

حب الله لعبده التائب وشدة فرحه بتوبته :

قال تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴾ (٢٢٢) ﴿ [البقرة: ٢٢٢]

وعن أنس بن مالك ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : " لَلَّهِ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ حِينَ يَتُوبُ إِلَيْهِ، مِنْ أَحَدِكُمْ كَانَ عَلَى رَاحِلَتِهِ بَارِضٌ فَلَاةٌ، فَانْقَلَبَتْ مِنْهُ وَعَلَيْهَا طَعَامُهُ وَشَرَابُهُ، فَأَيْسَ مِنْهَا، فَأَتَى شَجْرَةً، فَاصْطَبَحَ فِي ظِلِّهَا، قَدْ أَيْسَ مِنْ رَاحِلَتِهِ، فَبَيَّنَّا هُوَ كَذَلِكَ إِذَا هُوَ بِهَا، فَأَيْمَةٌ عِنْدَهُ، فَأَخَذَ بِخِطَامِهَا، ثُمَّ قَالَ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ: اللَّهُمَّ أَنْتَ عَبْدِي وَأَنَا رَبُّكَ، أَخْطَأَ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ " ^٣

وعن أبي هريرة، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : " لَلَّهِ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ أَحَدِكُمْ، مِنْ أَحَدِكُمْ بِصَالَتِهِ، إِذَا وَجَدَهَا " .^٤

١ - حسن : رواه أحمد (١٦٧١) وحسنه شعيب الأرنؤوط ، وأبو داود (٢٤٧٩)، وحسنه الألباني في الإرواء " (١٢٠٨) ، و " صحيح الجامع " (٧٤٦٩).

٢ - " شرح الأربعين النووية " (٤٠١-٤٠٤) للعلامة العثيمين - رحمه الله - ط : دار الثريا للنشر.

٣ - البخاري (٦٣٠٩)، ومسلم ٧ - (٢٧٤٧)، وأحمد (١٣٢٢٧)، وابن حبان (٦١٧)

٤ - مسلم ٢ - (٢٦٧٥)، وأحمد (١٠٤٩٨)، والترمذي (٣٥٣٨)، وابن ماجه (٤٢٤٧)، وابن حبان (٦٢١)

ما جاء من تكفير السيئات للتائبين والتائبات ودخول الجنات :

قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ

وَيُدْخِلَكُم جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ﴾ [التحریم: ٨]

ولهذا قال العلماء: التَّوْبَةُ النَّصُوحُ هُوَ أَنْ يُقْلَعَ عَنِ الذَّنْبِ فِي الْحَاضِرِ وَيَنْدَمَ عَلَىٰ مَا سَلَفَ مِنْهُ فِي

الْمَاضِي وَيَعِزُّ عَلَىٰ أَنْ لَا يُفْعَلَ فِي الْمُسْتَقْبَلِ، ثُمَّ إِنْ كَانَ الْحَقُّ لِأَدَمِي رَدَّهُ إِلَيْهِ بِطَرِيقِهِ.

وَقَالَ قَتَادَةُ: ﴿ تَوْبَةٌ نَّصُوحًا ﴾: الصَّادِقَةُ، النَّاصِحَةُ^١.

وعن أبي ذر ، قَالَ: أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ وَعَلَيْهِ ثَوْبٌ أبيضٌ، وَهُوَ نَائِمٌ، ثُمَّ أَتَيْتُهُ وَقَدِ اسْتَيْقَظَ، فَقَالَ: "

مَا مِنْ عَبْدٍ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، ثُمَّ مَاتَ عَلَىٰ ذَلِكَ إِلَّا دَخَلَ الْجَنَّةَ " قُلْتُ: وَإِنْ رَزَىٰ وَإِنْ سَرَقَ؟

قَالَ: «وَإِنْ رَزَىٰ وَإِنْ سَرَقَ» قُلْتُ: وَإِنْ رَزَىٰ وَإِنْ سَرَقَ؟ قَالَ: «وَإِنْ رَزَىٰ وَإِنْ سَرَقَ» قُلْتُ: وَإِنْ

رَزَىٰ وَإِنْ سَرَقَ؟ قَالَ: «وَإِنْ رَزَىٰ وَإِنْ سَرَقَ عَلَىٰ رِغْمِ أَنْفِ أَبِي ذَرٍّ» وَكَانَ أَبُو ذَرٍّ إِذَا حَدَّثَ بِهَذَا

قَالَ: وَإِنْ رِغْمِ أَنْفِ أَبِي ذَرٍّ. قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ: هَذَا عِنْدَ الْمَوْتِ، أَوْ قَبْلَهُ إِذَا تَابَ وَنَدِمَ، وَقَالَ: لَا إِلَهَ

إِلَّا اللَّهُ، غُفِرَ لَهُ^٢.

التائب الأسيف الصادق في توبته ممن يظلمهم الله في ظله يوم القيامة ويدخله الجنة :

لقوله تعالى : ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَىٰ النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ (٤٠) فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ

(٤١) ﴾ [النازعات: ٤٠-٤١]

يقول الإمام ابن كثير -رحمه- أي: خَافَ الْقِيَامَ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَخَافَ حُكْمَ اللَّهِ فِيهِ،

وَنَهَىٰ نَفْسَهُ عَنِ هَوَاهَا، وَرَدَّهَا إِلَىٰ طَاعَةِ مَوْلَاهَا

{فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ} أَي: مُنْقَلِبُهُ وَمَصِيرُهُ وَمَرْجِعُهُ، إِلَى الْجَنَّةِ الْفَيْحَاءِ.

وعن أبي هريرة، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: " سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ، يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ: الْإِمَامُ

الْعَادِلُ، وَشَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ رَبِّهِ، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي الْمَسَاجِدِ، وَرَجُلَانِ تَخَابَا فِي اللَّهِ اجْتِمَاعًا

^١ - البُخَارِيُّ (ج٨ص٦٧).

^٢ - البخاري(٥٨٢٧)، ومسلم ١٥٤ - (٩٤).

بيان النجاح بتحقيق أسباب الفلاح

عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ، وَرَجُلٌ طَلَبَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ، فَقَالَ: إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ، أَحْفَى حَتَّى لَا تَعْلَمَ شِمَالَهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينَهُ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ" ^١.

وسابعهم: رجل قلبه لين نقي، يرجو رحمة ربه ويخشى عذابه، حاسب نفسه في خلوته، وذكر ذنبًا، فانفطر قلبه له، وخاف عقاب ربه، وندم على فعله، رجل ذكر نعم ربه عليه، وما وجب عليه من الشكر، وأحس في نفسه القصور أو التقصير، ففاضت عيناه بالدموع، يسأل الله الرحمة والمغفرة ويرجو القبول والإحسان.

فما أيسر هذا المقابل الذي يحمي من نار الموقف وحره، وما أكرم رب العالمين، وما أعظم إحسانه ^٢. وفيه ارتباط مقام التوبة الصادقة بالخوف من الله وخشيته .

ما جاء في إثبات الخيرية للتوابون :

عَنْ أَنَسٍ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ، قَالَ: "كُلُّ ابْنِ آدَمَ خَطَّاءٌ وَخَيْرُ الْخَطَّائِينَ التَّوَابُونَ" ^٣.

وعَنْ عَلِيٍّ، قَالَ: خَيْرُكُمْ كُلُّ مُفْتِنٍ تَوَابٍ"، قِيلَ: فَإِنْ عَادَ؟ قَالَ: «يَسْتَغْفِرُ اللَّهَ وَيَتُوبُ»، قِيلَ: فَإِنْ عَادَ؟، قَالَ: «يَسْتَغْفِرُ اللَّهَ وَيَتُوبُ»، قِيلَ: حَتَّى مَتَى؟، قَالَ: «حَتَّى يَكُونَ الشَّيْطَانُ هُوَ الْمَحْسُورَ» ^٤.

ما جاء في تبديل سيئات التائبين لحسنات :

قال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا (٦٨) يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا (٦٩) إِلَّا

^١ - البخاري(٦٦٠)، ومسلم ٩١ - (١٠٣١).

^٢ - "المنهل الحديث في شرح الحديث" المؤلف: الأستاذ الدكتور موسى شاهين لاشين - الناشر: دار المدار الإسلامي - الطبعة الأولى .

^٣ - رواه أحمد في "المسنود (١٣٠٤٩)، والترمذي(٢٤٩٩)، وابن ماجه(٢٤٩٩).

^٤ - "كتاب التوبة" لابن أبي الدنيا (١٧٧).

مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا (٧٠) وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا (٧١) ﴿ [الفرقان: ٦٨ - ٧١].
 وَقَوْلُهُ: ﴿ فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾ : فِي مَعْنَى قَوْلِهِ: { يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ } قَوْلَانِ:

أَحَدُهُمَا: أَنَّهُمْ يُدَلُّوا مَكَانَ عَمَلِ السَّيِّئَاتِ بِعَمَلِ الْحَسَنَاتِ. قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ: ﴿ فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ ﴾ قَالَ: هُمُ الْمُؤْمِنُونَ، كَانُوا مِنْ قَبْلِ إِيْمَانِهِمْ عَلَى السَّيِّئَاتِ، فَرَغِبَ اللَّهُ بِهِمْ عَنْ ذَلِكَ فَخَوَّلَهُمْ إِلَى الْحَسَنَاتِ، فَأَبْدَلَهُمْ مَكَانَ السَّيِّئَاتِ الْحَسَنَاتِ. وَرَوَى مُجَاهِدٌ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ كَانَ يُنْشَدُ عِنْدَ هَذِهِ الْآيَةِ:

بُدِّلْ بَعْدَ حَرِّ خَرِيفَا ... وَبَعْدَ طُولِ النَّفْسِ الْوَجِيفَا

يَعْنِي: تَغَيَّرَتْ تِلْكَ الْأَحْوَالُ إِلَى غَيْرِهَا.

وَقَالَ عَطَاءُ بْنُ أَبِي رَبَاحٍ: هَذَا فِي الدُّنْيَا، يَكُونُ الرَّجُلُ عَلَى هَيْئَةٍ فَيَبْحَثُ، ثُمَّ يُبَدِّلُهُ اللَّهُ بِهَا خَيْرًا. وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ: أَبْدَلَهُمْ بِعِبَادَةِ الْأَوْثَانِ عِبَادَةَ اللَّهِ، وَأَبْدَلَهُمْ بِقِتَالِ الْمُسْلِمِينَ قِتَالًا مَعَ الْمُسْلِمِينَ لِلْمُشْرِكِينَ، وَأَبْدَلَهُمْ بِنِكَاحِ الْمُشْرِكَاتِ نِكَاحَ الْمُؤْمِنَاتِ.

وَقَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ: أَبْدَلَهُمُ اللَّهُ بِالْعَمَلِ السَّيِّئِ الْعَمَلَ الصَّالِحِ، وَأَبْدَلَهُمُ بِالشِّرْكِ إِخْلَاصًا، وَأَبْدَلَهُمُ بِالْفُجُورِ إِحْصَانًا، وَبِالْكَفْرِ إِسْلَامًا.

وَهَذَا قَوْلُ أَبِي الْعَالِيَةِ، وَقِتَادَةَ، وَجَمَاعَةِ آخَرِينَ.

وَالْقَوْلُ الثَّانِي: أَنَّ تِلْكَ السَّيِّئَاتِ الْمَاضِيَةَ تَنْقَلِبُ بِنَفْسِ التَّوْبَةِ النَّصُوحَ حَسَنَاتٍ، وَمَا ذَلِكَ إِلَّا أَنَّهُ كَلَّمَا تَذَكَّرَ مَا مَضَى نَدِمَ وَاسْتَرْجَعَ وَاسْتَغْفَرَ، فَيَنْقَلِبُ الذَّنْبُ طَاعَةً بِهَذَا الْاِعْتِبَارِ. فَيَوْمَ الْقِيَامَةِ وَإِنْ وَجَدَهُ مَكْتُوبًا عَلَيْهِ لَكِنَّهُ لَا يَصْرُهُ وَيَنْقَلِبُ حَسَنَةً فِي صَحِيفَتِهِ، كَمَا تَبَيَّنَتِ السُّنَّةُ بِذَلِكَ، وَصَحَّتْ بِهِ الْأَنْبَاءُ الْمَرْوِيَّةُ عَنِ السَّلَفِ، رَحِمَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى - وَهَذَا سِيَاقُ الْحَدِيثِ - عَنْ أَبِي ذَرٍّ، قَالَ: قَالَ

رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " إِنِّي لِأَعْلَمُ آخِرَ أَهْلِ الْجَنَّةِ دُخُولًا الْجَنَّةِ، وَآخِرَ أَهْلِ النَّارِ خُرُوجًا مِنْهَا، رَجُلٌ يُؤْتَى بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيَقَالُ: اغْرُضُوا عَلَيْهِ صِعَارَ دُنُوبِهِ، وَارْفَعُوا عَنْهُ كِبَارَهَا، فَتُغْرَضُ عَلَيْهِ صِعَارُ دُنُوبِهِ، فَيَقَالُ: عَمِلْتَ يَوْمَ كَذَا وَكَذَا وَكَذَا، وَعَمِلْتَ يَوْمَ كَذَا وَكَذَا وَكَذَا، وَكَذَا وَكَذَا، فَيَقُولُ: نَعَمْ، لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُنْكِرَ وَهُوَ مُشْفِقٌ مِنْ كِبَارِ دُنُوبِهِ أَنْ تُغْرَضَ عَلَيْهِ، فَيَقَالُ لَهُ: فَإِنَّ لَكَ مَكَانَ كُلِّ سَيِّئَةٍ

حَسَنَةً، فَيَقُولُ: رَبِّ، قَدْ عَمِلْتُ أَشْيَاءَ لَا أَرَاهَا هَا هُنَا " فَلَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ صَحِيحًا حَتَّى
بَدَتْ نَوَاجِدُهُ^١.
وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ زَيْنُ الْعَابِدِينَ: ﴿يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ﴾ قَالَ: فِي الْآخِرَةِ.
وَقَالَ مَكْحُولٌ: يَغْفِرُهَا لَهُمْ ، فَيَجْعَلُهَا حَسَنَاتٍ^٢.

والتائب من الذنوب إلى طاعة الله مهاجراً إلى الله :

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ ، قَالَ: «الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ
لِسَانِهِ وَيَدَيْهِ ، وَالْمُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ مَا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ»^٣.
وفي رواية : إِنَّ رَجُلًا سَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَيُّ الْمُسْلِمِينَ خَيْرٌ؟ قَالَ: « مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ
لِسَانِهِ وَيَدَيْهِ»^٤.

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ قُدَامَةَ السَّعْدِيِّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ : " لَا تَنْقَطِعُ
الْهَجْرَةُ مَا دَامَ الْعَدُوُّ يُقَاتِلُ " ، فَقَالَ مُعَاوِيَةُ ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو بْنُ
الْعَاصِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُم - : إِنَّ النَّبِيَّ - ﷺ - قَالَ: " إِنَّ الْهَجْرَةَ خَصَلَتَانِ : إِحْدَاهُمَا أَنْ تَهْجُرَ
السَّيِّئَاتِ ، وَالْأُخْرَى أَنْ تَهَاجِرَ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ، وَلَا تَنْقَطِعُ الْهَجْرَةُ مَا تُقْبِلُ التَّوْبَةَ ، وَلَا تَزَالُ
التَّوْبَةُ مَقْبُولَةً حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنَ الْمَغْرِبِ ، فَإِذَا طَلَعَتْ ، طُبِعَ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ بِمَا فِيهِ ، وَكُنِيَ
النَّاسُ الْعَمَلُ " ^٥.

^١ - مسلم ٣١٤ - (١٩٠)، وأحمد (٢١٤٩٢)، والترمذي (٢٥٩٦)، وابن حبان (٧٣٧٥).

^٢ - رَوَاهُمَا ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ، وَرَوَى ابْنُ جَرِيرٍ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ مِثْلَهُ .

" تفسير القرآن العظيم " لابن كثير - رحمه الله -

^٣ - البخاري (٦٤٨٤) ، وأحمد (٦٥١٥)، وأبو داود (٢٤٨١)، والنسائي (٤٩٩٦) ، وابن حبان (٢٣٠).

^٤ - مسلم ٦٤ - (٤٠).

^٥ - حسن : رواه أحمد (١٦٧١) وحسنه شعيب الأرنؤوط ، وأبو داود (٢٤٧٩) ، وحسنه الألباني في "

الإرواء " (١٢٠٨) ، و" صحيح الجامع " (٧٤٦٩).

والتائب المستقيم على توبته من تحسن خاتمه بإذن الله :

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: حَدَّثَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ الصَّادِقُ الْمَصْدُوقُ " إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْفَهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا، ثُمَّ يَكُونُ فِي ذَلِكَ عَلَقَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَكُونُ فِي ذَلِكَ مُضَعَّةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يُرْسَلُ الْمَلِكُ فَيَنْفُخُ فِيهِ الرُّوحَ، وَيُؤَمَّرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ: بِكُتْبِ رِزْقِهِ، وَأَجَلِهِ، وَعَمَلِهِ، وَشَقِيٍّ أَوْ سَعِيدٍ، فَوَالَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ إِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ، فَيَدْخُلُهَا، وَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ، حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَيَدْخُلُهَا " ^١.

ارتباط التوبة بشكر نعم الله :

عَنْ سَعْدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ طَلْقِ بْنِ حَبِيبٍ قَالَ: «إِنَّ حُفُوقَ اللَّهِ تَعَالَى أَعْظَمُ مِنْ أَنْ يَقُومَ بِهَا الْعِبَادُ، وَإِنَّ نِعْمَةَ اللَّهِ أَكْثَرُ مِنْ أَنْ تُحْصَى، وَلَكِنْ أَصْبَحُوا تَائِبِينَ، وَأَمْسُوا تَائِبِينَ» ^٢.

التوبة والاستغفار بعد الذنب سبب لصلاح القلب :

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: «إِنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا أَدْنَبَ كَانَتْ نُكْتَةً سَوْدَاءَ فِي قَلْبِهِ، فَإِنْ تَابَ وَتَزَعَّ وَاسْتَغْفَرَ، صُقِلَ قَلْبُهُ، ...» الحديث ^٣.

وعن عَوْْنِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ: «دَاوُوا الذُّنُوبَ بِالتَّوْبَةِ، وَلَرُبَّ تَائِبٍ دَعَتْهُ تَوْبَتُهُ إِلَى الْجَنَّةِ حَتَّى أَوْفَدَتْهُ عَلَيْهَا»، وَقَالَ: «قَلْبُ الْمَرْءِ التَّائِبِ بِمَنْزِلَةِ الرَّجَاجَةِ يُؤَثِّرُ فِيهَا جَمِيعُ مَا أَصَابَهَا، فَالْمَوْعِظَةُ إِلَى قُلُوبِهِمْ سَرِيعَةٌ، وَهُمْ إِلَى الرَّقَّةِ أَقْرَبُ» ^٤.

^١ - البخاري (٧٤٥٤)، ومسلم ١ - (٢٦٤٣).

^٢ - " الزهد والرفائق " لابن المبارك (٣٠٢).

^٣ - حسن :رواه أحمد في " المسند(٧٩٥٢)، وابن ماجه(٤٢٤٤)، وابن حبان (٤٢٤٤)، (٢٧٨٧).

^٤ - " كتاب التوبة " لابن أبي الدنيا (١٨٢).

وَعَنْ عَوْنِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ : جَرَأَمُ التَّوَابِينَ مَنْصُوبَةٌ بِالتَّدَامَةِ نُصِبَ أَعْيُنُهُمْ ، لَا تَقَرُّ لِلتَّائِبِ بِالدُّنْيَا عَيْنٌ ، كَلَّمَا ذَكَرَ مَا اجْتَرَحَ عَلَى نَفْسِهِ ، وَكَانَ يَقُولُ : التَّائِبُ أَسْرَعُ دَمْعَةً ، وَأَرْقُ قَلْبًا .^١
وَقَالَ : قَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : « جَالِسُوا التَّوَابِينَ ، فَإِنَّهُمْ أَرْقُ شَيْءٌ أَفِيدَةٌ »^٢

(١٢) ذكر الله كثيراً :

لقوله تعالى : ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (١٠) ﴾ [الجمعة: ١٠]
ولقوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِتْنَةً فَانْتَبِهُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٤٥) ﴾ [الأنفال: ٤٥]

وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ، قَالَتْ : « كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَذْكُرُ اللَّهَ عَلَى كُلِّ أَحْيَانِهِ »^٣ .
وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « لَأَنْ أَقُولَ : سُبْحَانَ اللَّهِ ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ ، أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ »^٤ .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَسِيرُ فِي طَرِيقِ مَكَّةَ ، فَمَرَّ عَلَى جَبَلٍ يُقَالُ لَهُ جُمْدَانُ ، فَقَالَ : « سِيرُوا هَذَا جُمْدَانُ سَبَقَ الْمُفْرَدُونَ » قَالُوا : وَمَا الْمُفْرَدُونَ ؟ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ : « الدَّاكِرُونَ اللَّهَ كَثِيرًا ، وَالدَّاكِرَاتُ »^٥ .

وَعَنْ أَبِي الدُّدَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ : قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « أَلَا أُبَيِّنُكُمْ بِخَيْرِ أَعْمَالِكُمْ ، وَأَزْكَاهَا عِنْدَ مَلِيكِكُمْ ، وَأَرْفَعَهَا فِي دَرَجَاتِكُمْ وَخَيْرَ لَكُمْ مِنْ إِنْتَاقِ الذَّهَبِ وَالْوَرَقِ ، وَخَيْرَ لَكُمْ مِنْ أَنْ تَلْفَوْا عَدُوَّكُمْ ،

^١ - " كتاب التوبة " لابن أبي الدنيا (١٨٥) .

^٢ - " كتاب التوبة " لابن أبي الدنيا (١٤٤) .

^٣ - مسلم ١١٧ - (٣٧٣) ، وأحمد في " المسند " (٢٤٤١٠) ، وأبو داود (١٨) ، والترمذي (٣٣٨٤) ، وابن ماجه (٣٠٢) ، وابن حبان (٨٠٢) .

^٤ - مسلم ٣٢ - (٢٦٩٥) ، و ابن حبان ٨٣٤ ، والترمذي (٣٥٩٧) .

^٥ - مسلم ٤ - (٢٦٧٦) ، و ابن حبان (٨٥٨) ، و " المشكاة " (٢٢٦٢) - [٢] .

بيان النجاح بتحقيق أسباب الفلاح

فَتَضَرَّبُوا أَعْنَاقَهُمْ وَيَضْرِبُوا أَعْنَاقَكُمْ؟ ، قَالُوا: بَلَى. قَالَ: « ذَكَرَ اللهُ تَعَالَى ، قَالَ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ: مَا شَيْءٌ أَجْحَى مِنْ عَذَابِ اللهِ مِنْ ذِكْرِ اللهِ ١.

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: « يَقُولُ اللهُ تَعَالَى: «أَنَا عِنْدَ طَلْقِ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي، فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَأٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلَأٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ بِشَيْءٍ تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ بَاعًا، وَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً» ٢.

ومن أراد المزيد فليطالع كتابي على الموقع بعنوان: "سبق الخيرات للذاكرين والذاكرات" وأفضل نسخه بمكتبة "نور" مجانًا بنسخة بي دي أف .

(١٣) مجانبة العبد المسلم للربا :

لقوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (١٣٠) ﴾ [آل عمران: ١٣٠]

وفي تفسير "الجلالين" : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً﴾ بِاللَّيْلِ وَدُونَهَا بِأَنْ تَزِيدُوا فِي الْمَالِ عِنْدَ حُلُولِ الْأَجَلِ ، وَتُوَجِّحُوا الطَّلَبَ ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ بِتَرْكِهِ ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ تَفُوزُونَ^٣.

(١٤) الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر :

قال تعالى : ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (١٠٤)﴾ [آل عمران: ١٠٤]

^١ - صحيح : أخرجه أحمد (٢٦٦٧، ٢١١٩٥) والترمذي (٣٣٧٧) واللفظ له، وابن ماجه (٣٧٩٠)، والحاكم في "المستدرک" (١٨٢٥)، و"المشكاة" (٢٢٦٩) - [٩]، وصححه الألباني في "صحيح الجامع" (٢٦٢٩).

^٢ - البخاري (٧٤٠٥) ، ومسلم (٢٦٧٥)، وأحمد (١٠٢٢٤)، والترمذي (٣٦٠٣)، وابن ماجه (٣٨٢٢).

^٣ - "تفسير الجلالين" (ص: ٨٤) ط: دار الحديث - القاهرة - الطبعة الأولى .

بيان النجاح بتحقيق أسباب الفلاح

يأمر الله المؤمنين - بعد استكمال إيمانهم في أنفسهم - أن يمتد خيرهم، ويتجاوز برهم إلى غيرهم: بأن يكون منهم جماعة متفهمة في الدين: يدعون الناس - على بصيرة - إلى الإسلام. وكله خير. فيأمرون بكل ما عُرف حسنه عقلا وشرعاً، ويُهَوَّنَ عن كل ما هو منكر كذلك.

وقد دلت الآية على أن الأمة: يجب عليها أن تخصص طائفة منها: تقوم بالدعوة إلى الله، كما قال سبحانه: ﴿ فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾ .

وهذا لا يعنى سائر أفراد الأمة من القيام بهذا الواجب: كل بحسب طاقته .

ويؤيد هذا، ما رواه مسلم عن أبي هريرة قال: قال ﷺ: "من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فقلبه، وذلك أضعف الإيمان".

وفي رواية أخرى لمسلم. "وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل".

﴿ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ : أي وأولئك المتصفون بتلك الصفات العالية، هم الفائزون بخيري الدنيا والآخرة.

وقال ابن تيمية: أن النبي هو وسائر المؤمنين لا يخبرون إلا بحق، ولا يأمرون إلا بعدل؛ فيأمرون بالمعروف، وينهون عن المنكر، ويأمرون بمصالح العباد في المعاش والمعاد، لا يأمرن بالفواحش، ولا الظلم، ولا الشرك، ولا القول بغير علم .

فهم بعثوا بتكميل الفطرة وتقريرها لا بتبديلها وتغييرها، فلا يأمرون إلا بما يوافق المعروف في العقول الذي تتلقاه القلوب السليمة بالقبول، فكما أنهم هم لا يختلفون فلا يناقض بعضهم بعضاً، بل دينهم وملتهم واحد، وإن تنوعت الشرائع فهم أيضاً موافقون لموجب الفطرة التي فطر الله عليها عباده، موافقون للأدلة العقلية لا يناقضونها قط، بل الأدلة العقلية الصحيحة كلها توافق الأنبياء لا تخالفهم، وآيات الله، السمعية والعقلية والعيانية الساعية كلها متوافقة متصادقة متعاضة، لا يناقض بعضها بعضاً" أ. هـ

وبعد ما حررت مقتضى الفطرة، وموجبها ولوازمها من خلال الأدلة الدالة عليها من الكتاب والسنة بفهم سلف الأمة وأئمتها الذين هم: أئمة الهدى ومصايح الدجى، وشموس الفلاح، ونجوم الحيارى،

١ - "التفسير الوسيط للقرآن الكريم" ط: الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

وبر النجاة. وتبين أن عامة السلف وجمهرة العلماء قائلون بأن الله فطر عباده وجبلهم على وجوب عبادته ، وعلى الكفر والبراءة من كل معبود سواه .

(١٥) الجهاد في سبيل الله :

قال تعالى : ﴿ لَكِنِ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ جَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَأَوْلِيَّكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ وَأَوْلِيَّكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٨٨) أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ

الْعَظِيمُ (٨٩) ﴾ [التوبة: ٨٨]

وقوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ

(٣٥) ﴾ [المائدة: ٣٥]

(١٦) الصبر :

لقوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٢٠٠) ﴾

[آل عمران: ٢٠٠]

وعن صُهَيْبٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَاءٌ شَكَرَ، فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَاءٌ صَبَرَ، فَكَانَ خَيْرًا لَهُ".^١

وعن أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إِنَّ نَاسًا مِنَ الْأَنْصَارِ سَأَلُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَأَعْطَاهُمْ، ثُمَّ سَأَلُوهُ فَأَعْطَاهُمْ، ثُمَّ سَأَلُوهُ، فَأَعْطَاهُمْ حَتَّى نَفِدَ مَا عِنْدَهُ، فَقَالَ: «مَا يَكُونُ عِنْدِي مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ أَدْخِرَهُ عَنْكُمْ، وَمَنْ يَسْتَغْفِرْ يُعْفَ اللَّهُ، وَمَنْ يَسْتَغْنِ يُغْنِهِ اللَّهُ وَمَنْ يَتَصَبَّرْ يُصْبِرْهُ اللَّهُ، وَمَا أُعْطِيَ أَحَدٌ عَطَاءً خَيْرًا وَأَوْسَعَ مِنَ الصَّبْرِ».^٢

^١ - مسلم ٦٤ - (٢٩٩٩)، وأحمد (١٨٩٣٤)، وابن حبان (٢٨٩٦).

^٢ - البخاري (١٤٦٩)

(١٧) اجتناب العبد المسلم للمسكرات والميسر والأنصاب والأزلام :

لقوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (٩٠) ﴿ [المائدة: ٩٠]

يقول الإمام السعدي -رحمه الله- في " تفسيره " : يذم تعالى هذه الأشياء القبيحة ، ويجبر أنها من عمل الشيطان ، وأنها رجس . ﴿ فَاجْتَنِبُوهُ ﴾ أي : اتركوه ﴿ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ فإن الفلاح لا يتم إلا بترك ما حرم الله ، خصوصا هذه الفواحش المذكورة ، وهي الخمر وهي : كل ما خامر العقل أي : غطاه بسكره ، والميسر ، وهو : جميع المغالبات التي فيها عوض من الجانبين ، كالمراهنة ونحوها ، والأنصاب التي هي : الأصنام والأنداد ونحوها ، مما يُنصب ويُعبد من دون الله ، والأزلام التي يستقسمون بها ، فهذه الأربعة نهى الله عنها وزجر ، وأخبر عن مفسادها الداعية إلى تركها واجتنابها . فمنها : أنها رجس ، أي : خبث ، نجس معنى ، وإن لم تكن نجسة حسا . والأمور الخبيثة مما ينبغي اجتنابها وعدم التدنس بأوضاعها . ومنها : أنها من عمل الشيطان ، الذي هو أعدى الأعداء للإنسان .

ومن المعلوم أن العدو يحذر منه ، وتحذر مصايد وأعماله ، خصوصا الأعمال التي يعملها ليقع فيها عدوه ، فإنها فيها هلاكه ، فالحزم كل الحزم البعد عن عمل العدو المبين ، والحذر منها ، والخوف من الوقوع فيها .

ومنها : أنه لا يمكن الفلاح للعبد إلا باجتنابها ، فإن الفلاح هو : الفوز بالمطلوب المحبوب ، والنجاة من المرهوب ، وهذه الأمور مانعة من الفلاح ومعوقة له .

ومنها : أن هذه موجبة للعداوة والبغضاء بين الناس ، والشيطان حريص على بثها ، خصوصا الخمر والميسر ، ليقع بين المؤمنين العداوة والبغضاء .

فإن في الخمر من انغلاب العقل وذهاب حجاءه ، ما يدعو إلى البغضاء بينه وبين إخوانه المؤمنين ، خصوصا إذا اقترن بذلك من الأسباب ما هو من لوازم شارب الخمر ، فإنه ربما أوصل إلى القتل . وما في الميسر من غلبة أحدهما للآخر ، وأخذ ماله الكثير في غير مقابلة ، ما هو من أكبر الأسباب للعداوة والبغضاء .

بيان النجاح بتحقيق أسباب الفلاح

ومنها: أن هذه الأشياء تصد القلب، ويتبعه البدن عن ذكر الله وعن الصلاة، اللذين خلق لهما العبد، وبها سعادته، فالخمر والميسر، يصدانه عن ذلك أعظم صد، ويشتغل قلبه، ويذهل لبه في الاشتغال بهما، حتى يمضي عليه مدة طويلة وهو لا يدري أين هو.

فأي معصية أعظم وأقبح من معصية تدنس صاحبها، وتجعله من أهل الخبث، وتوقعه في أعمال الشيطان وشبابه، فينقاد له كما تنقاد الهجمة الذليلة لراعيتها، وتحول بين العبد وبين فلاحه، وتوقع العداوة والبغضاء بين المؤمنين، وتصد عن ذكر الله وعن الصلاة؟ " فهل فوق هذه المفاسد شيء أكبر منها؟ "

ولهذا عرض تعالى على العقول السليمة النهي عنها، عرضا بقوله: ﴿فَهَلْ أُنْتُمْ مُتَّبِعُونَ﴾ لأن العاقل - إذا نظر إلى بعض تلك المفاسد - انزجر عنها وكفت نفسه، ولم ينجح إلى وعظ كثير ولا زجر بليغ .

وعَنْ بَرِيدَةَ بْنِ الْحُصَيْبِ الْأَسْلَمِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "مَنْ لَعِبَ بِالزَّرْدَشِيرِ فَكَأَنَّهَا صَبَغَ يَدَهُ فِي لَحْمِ خَنْزِيرٍ وَدَمَهُ".^١

(١٨) المحافظة على الفرائض من الصلاة والزكاة والصيام :

عَنْ طَلْحَةَ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ، ، يَقُولُ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَإِذَا هُوَ يَسْأَلُهُ عَنِ الْإِسْلَامِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «حَمْسُ صَلَوَاتٍ فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ»، فَقَالَ: هَلْ عَلَيَّ غَيْرُهَا؟ قَالَ: «لَا، إِلَّا أَنْ تَطَّوَّعَ» فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «وَصِيَامُ شَهْرِ رَمَضَانَ»، قَالَ: هَلْ عَلَيَّ غَيْرُهُ؟ قَالَ: «لَا، إِلَّا أَنْ تَطَّوَّعَ»، قَالَ: وَذَكَرَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الزَّكَاةَ، قَالَ: هَلْ عَلَيَّ غَيْرُهَا؟ قَالَ: «لَا، إِلَّا أَنْ تَطَّوَّعَ»،

^١ - رواه مسلم ١٠ - (٢٢٦٠)، وأحمد (٢٣٠٢٥)، وأبو داود (٤٩٣٩)، وابن ماجه (٣٧٦٣)، وابن

فَأَذْبَرَ الرَّجُلُ وَهُوَ يَقُولُ: وَاللَّهِ لَا أَزِيدُ عَلَى هَذَا، وَلَا أَنْقُصُ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَفْلَحَ إِنْ صَدَقَ»^١.

[ش (ثائر) هو برفع ثائر صفة لرجل وقيل يجوز نصبه على الحال ومعنى ثائر الرأس قائم شعره منتفشه (نسمع دوي صوته ولا نطقه ما يقول) روى نسمع ونطقه بالنون المفتوحة فيها وروى يسمع ويفقه والأول هو الأشهر الأكثر الأعراف وأما دوي صوته فهو بعده في الهواء ومعناه شدة صوت لا يفهم (أفلق إن صدق) قيل هذا الفلاح راجع إلى قوله لا أنقص خاصة والأظهر أنه عائد إلى المجموع بمعنى أنه إذا لم يزد ولم ينقص كان مفلحاً لأنه أتى بما عليه ومن أتى بما عليه فهو مفلح وليس في هذا أنه إذا أتى بزائد لا يكون مفلحاً لأن هذا مما يعرف بالضرورة فإنه إذا أفلق بالواجب فلا أن يفلق بالواجب والمندوب أولى]

(١٩) جماع الفلاح في متابعة العبد للفرائض بالنوافل :

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " إِنَّ اللَّهَ قَالَ: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنَنْتُهُ بِالْحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ: كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْتَطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لِأَعْطِيَتْهُ، وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي لِأُعِيدَنَّهُ، وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدَّدِي عَنْ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ، يَكْرَهُ الْمَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ"^٢

^١ - البخاري (٢٦٧٨)، ومسلم ٨ - (١١)، وأحمد (١٣٩٠)، وأبو داود (٣٩١)، والنسائي (٥٠٢٨)، وابن حبان (١٧٢٤).

^٢ - البخاري (٦٥٠٢)، وابن حبان (٣٤٧).

(٢٠) محبة المؤمنين وخلو صدر المسلم من حسدهم مما آتاهم الله :

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤِثُّوْنَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَأَوْكَانَ بِهِمْ حَصَاصَةً وَمَنْ يَوْقُ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: ٩]

قَالَ الْحَسَنُ: ﴿حَاجَةً﴾: «حَسَدًا»

الْحَصَاصَةُ: الْفَاقَةُ، ﴿الْمُفْلِحُونَ﴾: الْفَائِزُونَ بِالْخُلُودِ، وَالْفَلَاحُ: الْبِقَاءُ، حَيَّ عَلَى الْفَلَاحِ: تَحَلَّلْ "

(٢١) الخشوع في الصلاة :

لقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾ " قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: ﴿خَاشِعُونَ﴾: خَائِفُونَ سَاكِنُونَ. وَكَذَا رُوِيَ عَنْ مُجَاهِدٍ، وَالْحَسَنِ، وَقَتَادَةَ، وَالزُّهْرِيِّ (٣). وَعَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: الْخُشُوعُ: خُشُوعُ الْقَلْبِ. وَكَذَا قَالَ إِبْرَاهِيمُ التَّحِيْمِيُّ. وَقَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ: كَانَ خُشُوعُهُمْ فِي قُلُوبِهِمْ، فَغَضُّوا بِذَلِكَ أَبْصَارَهُمْ، وَخَفَضُوا الْجَنَاحَ. وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ سِيرِينَ: كَانَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَرْفَعُونَ أَبْصَارَهُمْ إِلَى السَّمَاءِ فِي الصَّلَاةِ، فَلَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ. الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾ خَفَضُوا أَبْصَارَهُمْ إِلَى مَوْضِعِ سُجُودِهِمْ [و] وَالْخُشُوعُ فِي الصَّلَاةِ إِنَّمَا يَحْضُلُ بِمَنْ فَرَّغَ قَلْبَهُ لَهَا، وَاشْتَغَلَ بِهَا عَمَّا عَدَاهَا، وَأَثَرَهَا عَلَى غَيْرِهَا، وَحِينَئِذٍ تَكُونُ رَاحَةً لَهُ وَقَرَّةٌ عَيْنٍ، كَمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ، فِي الْحَدِيثِ الَّذِي رَوَاهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ وَالنَّسَائِيُّ، عَنْ أَنَسٍ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: "حُبِّبَ إِلَيَّ الطَّيِّبُ وَالنِّسَاءُ، وَجُعِلَتْ قُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ"^١.

وقال الإمام أحمد أيضاً؛ حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مَهْدِيٍّ، حَدَّثَنَا إِسْرَائِيلُ، عَنْ عَثْمَانَ بْنِ الْمَغِيرَةِ، عَنْ سَالِمِ بْنِ أَبِي الْجَعْدِ، أَنَّ مُحَمَّدَ بْنَ الْحَنَفِيَّةِ قَالَ: دَخَلْتُ مَعَ أَبِي عَلَى صَهْرٍ لَنَا مِنَ الْأَنْصَارِ، فَخَضِرَتْ

^١ - صحيح : رواه أحمد (١٢٢٩٣)، والنسائي (٣٩٤٠)، و" المشكاة " (٥٢٦١) - [٣١]، وصححه الألباني

في " صحيح الجامع " (٣١٢٤).

الصَّلَاةُ، فَقَالَ: يَا جَارِيَّةُ، انْتَبِي بَوْضُوءَ لَعَلِّي أَصَلِّي فَأَسْتَرِيحَ. فَرَأَانَا أَنْكَرْنَا عَلَيْهِ ذَلِكَ ، فَقَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ، يَقُولُ: "قُمْ يَا بِلَالُ، فَأَرِحْنَا بِالصَّلَاةِ" ^١.

(٢٢) الإعراض عن اللغو :

عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، قَالَ: «مَنْ يَضْمَنْ لِي مَا بَيْنَ لَحْيَيْهِ وَمَا بَيْنَ رِجْلَيْهِ ، أَضْمَنْ لَهُ الْجَنَّةَ» ^٢.

وفي رواية : «مَنْ تَوَكَّلَ لِي مَا بَيْنَ رِجْلَيْهِ وَمَا بَيْنَ لَحْيَيْهِ ، تَوَكَّلْتُ لَهُ بِالْجَنَّةِ» ^٣.

وَعَنْ عُثْبَةَ بْنِ عَامِرٍ، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا النَّجَاةُ؟ قَالَ: «إِمْلاكَ عِلْيَتِكَ لِسَانِكَ، وَلَيْسَعِكَ يَتْنِكَ، وَإِنَّا عَلَى خَطِيئَتِكَ» ^٤.

ويقول الإمام ابن كثير -رحمه الله- : ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴾ أَي: عَنِ الْبَاطِلِ، وَهُوَ يَشْمَلُ: الشَّرْكَ -كَمَا قَالَهُ بَعْضُهُمْ- وَالْمَعَاصِي -كَمَا قَالَهُ آخَرُونَ- وَمَا لَا فَايِدَةَ فِيهِ مِنَ الْأَقْوَالِ وَالْأَفْعَالِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا ﴾ [الْفَرْقَانِ: ٧٢] .
قَالَ قَتَادَةُ: أَتَاهُمْ وَاللَّهِ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ مَا وَقَدَّهَمَ عَنْ ذَلِكَ.

ومن أراد المزيد فيطالع مقالي بعنوان: " العظة والبيان بفضل إمساك اللسان .

^١ - صحيح : رواه أحمد(٢٣١٥٤)، أبو داود(٤٩٨٥،٤٩٨٦) وقال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح،

رجالها ثقات رجال الشيخين غير عثمان بن المغيرة ، فمن رجال البخاري، وصححه الألباني في " صحيح

الجامع"(٧٨٩٢ - ٢٩٨٦)، و" المشكاة"(١٢٥٣) - [١٣] .

^٢ - البخاري(٦٤٧٤) .

^٣ - البخاري(٦٨٠٧)، وأحمد(٢٢٨٢٣)، والترمذي(٢٤٠٨)، وابن حبان(٢٢٨٢٣).

^٤ - رواه أحمد(٢٢٢٣٥)، والترمذي(٢٤٠٦) وصححه الألباني .

(٢٣) حفظ الفرج :

لقوله تعالى : ﴿وَالَّذِينَ هُمْ يُفْرَوْنَ هُمْ حَافِظُونَ . إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ * فَمَنْ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ﴾ أي: والذين قد حفظوا فروجهم من الحرام، فلا يتعمون فيما نهاهم الله عنه من زنا أو لواط، ولا يفترون سوى أزواجهم التي أحلها الله لهم، وما مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ مِنَ السَّرَايِي، وَمَنْ تَعَاطَىٰ مَا أَحَلَّهُ اللَّهُ لَهُ فَلَا لَوْمَ عَلَيْهِ وَلَا حَرَجَ؛ وَهَذَا (٧) قَالَ: ﴿فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ فَمَنْ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ﴾ أي: غير الأزواج والإماء، ﴿فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ﴾ أي: المعتدون.

وَقَدْ اسْتَدَلَّ الْإِمَامُ الشَّافِعِيُّ، رَحِمَهُ اللَّهُ، وَمَنْ وَاقَفَهُ عَلَىٰ تَحْرِيمِ الْاِسْتِمْنَاءِ بِالْيَدِ بِهَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ ﴿وَالَّذِينَ هُمْ يُفْرَوْنَ هُمْ حَافِظُونَ . إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ﴾ قَالَ: فَهَذَا الصَّنِيعُ خَارِجٌ عَنِ هَذَيْنِ الْقِسْمَيْنِ، وَقَدْ قَالَ: ﴿فَمَنْ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ﴾ .

(٢٤) الرعاية للأمانة والعهد :

لقوله تعالى : ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ﴾ أي: إذا أوثمتموهم لم يخونوا، بل يؤدونها إلى أهلها، وإذا عاهدوا أو عاهدوا أوفوا بذلك، لا كصفت المُنَافِقِينَ الَّذِينَ قَالَ فِيهِمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلَاثٌ: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ ، وَإِذَا أُؤْتِنَ حَانَ".

(٢٥) التفكر في آلاء الله وعظيم نعمه :

قال تعالى : ﴿أَوْعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَأَذْكُرُوا إِذْ جَعَلْنَا خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ زُرَادًا فِي الْخَلْقِ بَسْطَةً فَادْكُرُوا آيَةَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (٦٩) ﴿ [الأعراف: ٦٩] قال ابن القيم: «جدير بمن له مسكنة من عقل (٣) أن يسافر بفكره في هذه النعم والآلاء، ويكرّر ذكرها، لعله يوقفه على المراد منها ما هو، ولأني شيء خلق، ولماذا هتي، وأي أمر طلب منه على هذه النعم، كما قال تعالى: ﴿فَادْكُرُوا آيَةَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف: ٦٩]، فذكر آياته تبارك

بيان النجاح بتحقيق أسباب الفلاح

وتعالى ونعمه على عبده سببُ الفلاح والسعادة لأن ذلك لا يزيده إلا محبةً لله وحمداً وشكراً وطاعةً^١.

وقد ذكر ابن القيم رحمه الله أن الربَّ تعالى يدعو عباده في القرآن إلى معرفته من طريقين: أحدهما: النظرُ في مفعولاته .

والثاني: التفكير في آياته وتدبرها .

وقال رحمه الله: والنظرُ في هذه الآياتِ وأمثالها نوعان: نظرٌ إليها بالبصرِ الظاهرِ، فيرى - مثلاً - زُرقةَ السماءِ ونجومَها وعلوَّها وسَعَتَها، وهذا نظرٌ يشاركُ الإنسانُ فيه غيره من الحيوانات، وليس هو المقصودُ بالأمرِ .

والثاني: أن يتجاوزَ هذا إلى النظرِ بالبصيرةِ الباطنةِ، فتفتُحُ له أبوابُ السماءِ، فيجولُ في أقطارِها وملكويتها وبين ملائكتِها .

ثم يفتُحُ له بابٌ بعد بابٍ، حتى ينتهي به سَيْرُ القلبِ إلى عرشِ الرحمنِ، فينظرُ سَعَتَهُ وعظمتَهُ وجلالَهُ ومجدهَ ورفعَتَهُ، ويرى السمواتِ السبعَ والأرضينِ السبعَ بالنسبةِ إليه كحلقةٍ ملقاةٍ بأرضِ فلاةٍ. ويرى الملائكةَ حافينَ من حَوْلِهِ، لهم رَجُلٌ بالنسيبِ والتحميدِ والتقديسِ والتكبيرِ، والأمرُ ينزلُ من فوقه بتدبيرِ الممالكِ والجنودِ التي لا يعلمُها إلا ربُّها ومليكُها. فينزلُ الأمرُ بإحياءِ قومٍ وإماتةِ آخرينَ، وإعزازِ قومٍ وإذلالِ آخرينَ، وإسعادِ قومٍ وشقاوةِ آخرينَ، وإنشاءِ مُلكٍ وسلبِ مُلكٍ، وتحويلِ نعمةٍ من محلٍّ إلى محلٍّ، وقضاءِ الحاجاتِ على اختلافِها وتباينِها وكثرتها؛ من جبرِ كبيرٍ، وإغناءِ فقيرٍ، وشفاءِ مريضٍ، وتفريجِ كربٍ، ومغفرةِ ذنبٍ، وكشفِ ضرٍّ، ونصرِ مظلومٍ، وهدايةِ حيرانٍ، وتعليمِ جاهلٍ، وردِّ آبقٍ، وأمانِ خائفٍ، وإجارةِ مستجيرٍ، ومددٍ لضعيفٍ، وإغاثةِ ملهوفٍ وإعانةِ لعاجزٍ، وانتقامٍ من ظالمٍ، وكفِّ لعدوانٍ ... فحينئذٍ يقومُ القلبُ بين يدي الرحمنِ مُطْرِقًا لهيبتهِ، خاشعًا لعظمتِهِ، عانٍ لعزَّتِهِ، فيسجدُ بينَ يديِ الملكِ الحقِّ المبينِ ساجدًا، لا يرفعُ رأسَهُ منها إلى يومِ المزيدِ^٢.

١ - "مفتاح دار السعادة" للإمام ابن القيم (١/ ٢٢٩).

٢ - "مفتاح دار السعادة" (١/ ١٩٩).

(٢٦) كف اليد عن الدماء المحرمة :

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ ، قَالَ: «وَيْلٌ لِّلْعَرَبِ مِن شَرِّ قَدِ افْتَرَبَ ، أَفْلَحَ مَنْ كَفَّ يَدَهُ»^١.

(٢٧) موالاة أولياء الله ومعاداة أعداء الله :

لقوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُتِمُّونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ (٥٥) وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ (٥٦) ﴾ [المائدة: ٥٥-٥٦]

ولقوله تعالى : ﴿ لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٢٢) ﴾ [المجادلة: ٢٢]

قال ابن كثير: " فكلُّ مَنْ رَضِيَ بِوَلَايَةِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْمُؤْمِنِينَ فَهُوَ مُفْلِحٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، وَمَنْصُورٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ؛ وَلِهَذَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِي هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ: ﴿ وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ ﴾ [المائدة: ٥٦] .^٢

(٢٨) ما جاء من ارتباط الفلاح بالصيام :

عَنْ أَبِي أُمَامَةَ ، قَالَ: أَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ، فَقُلْتُ: مُزِنِي بِعَمَلٍ يُدْخِلُنِي الْجَنَّةَ. قَالَ: «عَلَيْكَ بِالصَّوْمِ؛ فَإِنَّهُ لَا عَدْلَ لَهُ». ثُمَّ أَتَيْتُهُ الثَّانِيَةَ فَقَالَ لِي: «عَلَيْكَ بِالصِّيَامِ»^٣.

^١ - صحيح : رواه أحمد(٩٦٩١) إسناده صحيح على شرط الشيخين، وأبو داود(٤٢٤٩)، و" المشكاة"

٥٤٠٤ - [٢٦] وصححه الألباني في " صحيح الجامع" (٧١٣٥).

^٢ - " تفسير القرآن العظيم"

^٣ - رواه أحمد(٢٢١٤٩) وقال شعيب الأرناؤوط: إسناده صحيح على شرط مسلم، والنسائي(٢٢٢٣)

، وابن حبان(٣٤٢٦) وصححه الألباني.

ما جاء في بيان تسمية السحور بالفلاح :

عَنْ أَبِي ذَرٍّ، قَالَ: صُمْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ رَمَضَانَ، فَلَمْ يَغْمُ بِنَا شَيْئًا مِنَ الشَّهْرِ حَتَّى بَقِيَ سَبْعٌ، فَقَامَ بِنَا حَتَّى ذَهَبَ ثُلُثُ اللَّيْلِ، فَلَمَّا كَانَتِ السَّادِسَةُ لَمْ يَغْمُ بِنَا، فَلَمَّا كَانَتِ الْخَامِسَةُ قَامَ بِنَا حَتَّى ذَهَبَ شَطْرُ اللَّيْلِ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَوْ نَقَلْتَنَا قِيَامَ هَذِهِ اللَّيْلَةِ، قَالَ: فَقَالَ: "إِنَّ الرَّجُلَ إِذَا صَلَّى مَعَ الْإِمَامِ حَتَّى يَنْصَرِفَ حُسِبَ لَهُ قِيَامُ لَيْلَةٍ"، قَالَ: فَلَمَّا كَانَتِ الرَّابِعَةُ لَمْ يَغْمُ، فَلَمَّا كَانَتِ الثَّالِثَةُ جَمَعَ أَهْلَهُ وَنِسَاءَهُ وَالنَّاسَ، فَقَامَ بِنَا حَتَّى حَشِينَا أَنْ يَقُوتَنَا الْفَلَاخُ، قَالَ: قُلْتُ: وَمَا الْفَلَاخُ؟ قَالَ: السُّحُورُ، ثُمَّ لَمْ يَغْمُ بَقِيَّةَ الشَّهْرِ.

وإنما سمي السحور فلاحًا، لكونه معينًا على إتمام الصوم المنفذي إلى الفلاح، أو لأنه من إقامة سنة الرسول؟ وذلك الفلاح كل الفلاح.^١

(٢٩) بيان ما جاء من فضل آخر دعاء للنوم بالفلاح :

عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: " إِذَا أَتَيْتَ مَضْجَعَكَ، فَتَوَضَّأْ وَضُوءَكَ لِلصَّلَاةِ، ثُمَّ اضْطَجِعْ عَلَى شِقِّكَ الْأَيْمَنِ، ثُمَّ قُلْ: اللَّهُمَّ أَسْلَمْتُ وَجْهِي إِلَيْكَ، وَفَوَّضْتُ أَمْرِي إِلَيْكَ، وَالْجَأْتُ ظَهْرِي إِلَيْكَ، رَغْبَةً وَرَهْبَةً إِلَيْكَ، لَا مَلْجَأَ وَلَا مَنْجَا مِنْكَ إِلَّا إِلَيْكَ، اللَّهُمَّ أَمِنْتُ بِكِتَابِكَ الَّذِي أَنْزَلْتَ، وَبِنَبِيِّكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ، فَإِنْ مِتُّ مِنْ لَيْلَتِكَ، فَأَنْتَ عَلَى الْفِطْرَةِ، وَاجْعَلْهُنَّ آخِرَ مَا تَتَكَلَّمُ بِهِ ". قَالَ: فَرَدَّدْتُهَا عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَلَمَّا بَلَغْتُ: اللَّهُمَّ أَمِنْتُ بِكِتَابِكَ الَّذِي أَنْزَلْتَ، قُلْتُ: وَرَسُولِكَ، قَالَ: «لَا، وَنَبِيِّكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ»^٢

وفي رواية: " فَإِنْ مِتُّ عَلَى الْفِطْرَةِ، وَإِنْ أَصْبَحْتَ أَصْبَحْتَ وَقَدْ أَصْبَحْتَ خَيْرًا " .^٤

^١ - رواه أحمد (٢١٤٤٧)، وأبو داود (١٣٧٥)، والنسائي (١٣٦٤)، وابن حبان (٢٥٤٧) وصححه الألباني

في " صحيح أبي داود " (١٢٤٥).

^٢ - "الميسر في شرح مصابيح السنة"

^٣ - البخاري (٢٤٧)، ومسلم ٥٦ - (٢٧١٠)، وأحمد (١٨٥١٥)، وأبو داود (٥٠٤٦)، والترمذي

(٣٥٧٤)، وابن ماجه (٣٨٧٦)، وابن حبان (٥٥٣٦).

^٤ - رواه الترمذي (٣٣٩٤).

ما جاء في بيان النهي عن التسمية بأفلاح :

قال تعالى : ﴿ الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كِبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنْتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى (٣٢) ﴾ [النجم: ٣٢]

وعَنْ سَمُرَةَ بْنِ جُنْدَبٍ، قَالَ: " نَهَانَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ نُسَمِّيَ رَقِيقَنَا بِأَرْبَعَةِ أَسْمَاءٍ: أَفْلَحَ، وَرَبَاحٌ، وَيَسَارٌ، وَنَافِعٌ " ^١.

تم بحمد الله وتوفيقه
الباحث في القرآن والسنة
أخوك في الله/صلاح عامر

^١ - رواه مسلم ١٠ - (٢١٣٦)، وأحمد (٢٠٠٧٨)، وأبو داود (٤٩٥٨)، والترمذي (٢٨٣٦)، وابن ماجه (٣٧٣٠).